المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

المعتقدات الدينية لسكان فزان القدماء
(عبادة الثيران)

* سالم محمد عبد الله هويدي[1]

[1]كلية الآداب–جامعة سبها

الملخص

لاريب أن دراسة المعتقدات من الأهمية بمكان إلى حد أنه لا يمكن التأريخ لذهنيات الشعوب دون الغوص في موروثها العقائدي والذي مهما كان بعيدًا في الزمان سيظل عنصر تأثير في حياتهم الدينية والاجتماعية وعلى هذا فإن الورقة تهدف إلى التوغل في الزمن الماضي للبحث عن بعض الأفكار والتصورات الروحانية والوجدانية وكذا المعتقدات والقيم والمنظورات الإيديولوجية الخاصة بعبادة الحيوانات (الثيران) التي تبناها وانقاد إليها سكان فزان القدماء ومن ثم اعتقدوا وآمنوا بها.

ومن منطلق محاولة التعرف على جذور أو تحديد الشكل الأصلي لهذا المعتقد الديني تنقلت الورقة بين التحليل والمقارنة والاستنباط، وخلال فترة زمنية تعود للألفية الثامنة قبل الميلاد وبعدها ضمن المجال الجغرافي لواحات إقليم فزان ومرتفعاته ووادي النيل المصري، كما أبرزت الورقة ماهية الإله وتجلياته وكذا رموزه، ومن الافتراض القائم على أن الثيران كانت ضمن مظاهر البيئة التي لفتت انتباه الفزاني القديم؛ فرأى في الثور نموذجا أعلى للقوة الجسمانية والإخصابية (القدرة على الخلق والتكاثر واستمرار الحياة) في المسرح الطبيعي الذي يعيش فيه.

كما تناول البحث آراء وافتراضات العلماء المختلفة مع اعتقاد الباحث حول الأسباب والدوافع الكامنة وراء ما حظيت به الثيران من توقير وتبجيل وعبادة، كما تطرقت الورقة إلى مجموعة الشعائر والطقوس الدينية والاحتفالات الدورية التي ارتبطت بعبادة الثيران في المجتمع الفزاني القديم والتي ما زال بعضها مختزلاً في الذاكرة الجماعية للسكان.

الكلمات الافتتاحية: المعتقدات الدينية، سكان فزان القدماء، عبادة الثيران.

Religious Beliefs of the Ancient Inhabitants of Fezzan
(Bull Worship)

*** Salem Mohammed Abdullah Huwaidi[1]**

[1]Faculty of Arts, University of Sebha

Abstract

There is no doubt that the study of beliefs is of such importance that it is impossible to date the mentalities of peoples without delving into their religious heritage, which, no matter how distant in time, will remain an element of influence in their religious and social life. Thus, this paper aims to delve into the past to search for some spiritual and emotional ideas and perceptions, as well as the beliefs, values, and ideological perspectives related to the worship of animals (bulls) that the ancient inhabitants of Fezzan adopted and believed in. From the standpoint of trying to identify the roots or determine the original form of this religious belief, the paper moved between analysis, comparison, and inference, during a time period dating back to the eighth millennium BC and beyond, within the geographical area of the oases of the Fezzan region, its highlands, and the Nile Valley in Egypt. The paper also highlighted the nature of the deity and its manifestations, as well as its symbols. Based on the assumption that bulls were among the manifestations of the environment that caught the attention of the ancient Fezzan, he saw in the bull a higher model of physical strength and fertility (the ability to create, reproduce, and continue life) in the natural theater in which he lived.

The research also addressed the different opinions and assumptions of scientists, along with the researcher's belief about the reasons and motives behind the veneration and worship of bulls. The paper also touched on a group of religious rituals, ceremonies, and periodic celebrations associated with the worship of bulls in ancient Fezzan society, some of which are still embedded in the collective memory of the population.

Keywords: Religious beliefs, ancient inhabitants of Fezzan, bull worship

* مؤلف البحث: عناوين البريد الإلكتروني sal.massuod@gmail.com – المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل25–26 نوفمبر 2024– جامعة فزان

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

المقدمة

يعد إقليم فزان من أهم المناطق التي استقر بها الإنسان الليبي القديم في الفترات التاريخية القديمة حيث كانت الظروف البيئية والمناخية مواتية لاستقراره وانبثاق حضارته، وقد نحت أفكاره ومعتقداته الدينية عن بعض الحيوانات ومنها (الثيران)على الأسطح الحجرية المبعثرة في إقليمه والتي تعود بدايتها الأولى إلى فترة تعرفه على المظاهر الكونية أو الآلهة العظام كجرم الشمس والقمر والنجوم ...إلخ التي شغلت لب تفكيره؛ فهي تحيط به وتؤثر فيه من خلال أعمال حواسه في استكشاف أبعادها ومعرفة ما تعنيه وما توحي إليه حركتها وتغيراتها من تقلب اليوم بين نور وظلمة، و الأحوال حوله بين برد وحرارة، ومنظر سطح الأرض بين الاستواء والارتفاع؛ إضافة إلى مختلف أنواع الحيوانات التي تسرح حوله فجلها يخيفه لمحاولتها النيل منه ...الخ فهي بذلك في نظره مسيطرة على مجريات الكون ومتحكمة بمقدراته؛ فأيقن بسيادتها ومسؤوليتها على حياته وممانه وخيره وشره، فأخذ يلتمس رضاها سواء بالعبادة المباشرة أو بتقديم الأضاحي القربانيه والتعاويذ السحرية وكذا الصلوات وإقامة الاحتفالات الطقوسية أو عن طريق اختيار رموز لها تماثلها في خصائصها وتجسدها وتحل فيها في عالم الأرض كالحيوانات المجترة: الأبقار، والكباش والثيران وقرونها؛ فالثور مثلا اقترن في طقوس عبادته وتقديسه كإله للقوة الإخصابية الخالقة والواهبة للحياة واستنزال المطر والخصب – الذي هو جوهر البقاء – كونه رمزا أو بديلا لمعبود القمر للتشابه بين صورة الهلال وقرني الثور، و مع ذلك لا نستطيع الوصول إلى جوهر هذا التقديس الذي هو عمق الإيمان و طبيعة العلاقة بين المتدين وإلهه، لا جدال في قلة المصادر التدوينية التي تتناول الموضوع إلا أن ذلك لن يثنينا عن البحث والتأمل انطلاقا من ثلاثة مطالب:

أولا / جذور العبادة.

ثانيا/ كينونة الإله وتجلياته.

ثالثا/ طقوس العبادة والتقديس.

- **أسباب اختيار موضوع البحث**

فقر المكتبات الليبية بمثل هذه الأبحاث ورغبة الباحث، في خوض غمار إعادة تقويم التجربة الوجدانية لسكان فزان القدماء، وكونه أحد سكان الإقليم

- **أهمية البحث**

دأبت الدراسات العلمية على إعطاء الحضارة المصرية القديمة دورًا محورياً في الثقافة الإنسانية كالمعتقدات والتصورات الدينية غير أن نتائج الأبحاث الأثرية الحديثة تكاد تجمع على مدى أهمية إسهام سكان الصحراء الوسطى (الأكاكوس والتاسيلي) في هذا الجانب الحضاري؛ عليه تأتي أهمية هذه الورقة كونها تحاول تتبع جزء من هذا الإسهام من خلال معرفة التصورات الغيبية الفكرية في البنية الذهنية لسكان فزان القدماء ورصد ما قدموه من إضافة للتاريخ الثقافي الإنساني.

- **إشكالية البحث:**

إن التاريخ الحضاري المدوّن – حالياً – عن سكان فزان القدماء لا يزال حبيس الرؤية المظلمة العامة للكتاب الكلاسيكيين كونهم بربر متوحشون...إلخ؛ غير أن الأبحاث العلمية الحديثة تعطي رؤية مختلفة، عليه فإن الورقة ستحاول إتاحة المجال لبعض الضوء لعله يساهم في تبديد جزء من هذا الظلام.

- **تساؤلات البحث:**

ترتكز الورقة على مجموعة من التساؤلات سيحاول الباحث الإجابة عليها ومنها:

هل استطاع الفزاني القديم إسقاط تأملاته الروحية على محيطه المادي بترجمة انفعالية إلى رموز؟ وهل ألّه وقدس بالفعل الثيران؟ وما طبيعة هذا الإله؟ وما هي تجلياته؟ ثم ما الدوافع الكامنة وراء هذا التقديس؟ وهل كان لسكان فزان دور في نشر هذا المعتقد ضمن محيطهم الداخلي والإقليمي؟ وهل عُبد الثور كونه إله في حد ذاته أو باعتباره قرباناً قدم للتقرب من الإله طمعا في استعطافه ورجاءً لشفاعته؟ وما الشعائر والطقوس المرتبطة بهذه العبادة؟ وهل وجد كهنة أو سدنة قاموا على توجيه هذه الشعائر؟

- **فرضية البحث:**

انطلاقاً من كون أن العقل البشري القديم عندما يعجز عن تفسير ما يحيط به من ظواهر كونية وبيئية (الجبال، الحيوانات) فإنه يرجعها دائما إلى قِوى غيبية يعدها أقوى منه فإن الإنسان الفزاني القديم عاش في بيئته الأولى تشاركه مختلف أنواع الحيوانات التي ارتبطت بحياته كالثيران التي انطبعت في مخيلته بخصائصها وسماتها المميزة كقوّتها الجسمانية ومقدرتها الإخصابية فتأثر بها فعبدها وقدّسها كما قدمها قرباناً للآلهة.

- **منهج البحث:** هو التاريخي السردي التحليلي مع المقارن والاستنباطي.

أولا/ جذور العبادة:

عاش المجتمع الفزاني خلال عصور ما قبل التاريخ لصيق بيئته النباتية الخضراء، عرف خلالها مختلف أنواع الحيوانات مثل: الفيلة، الزراف، الأروية (الوعول) والأبقار ...الخ، قاده تفكيره البدائي إلى احترام وتوقير ثم تقديس وعبادة بعضها كالثيران؛ وهو ما يعرف بـ (**الطوطمية Totemisme**)[1] والتي يرى العالم الاجتماعي (دوركايم Durkheim) بأنها ديانة Religion بالمعنى الدقيق لأنها تقوم على التفريق بين عالمين؛ عالم قدسي (الطوطم وما يتعلق به) وعالم عادي، وهذا هو قوام كل ديانة بشرية فالطوطمية تمثل أقدم ديانة إنسانية لارتباطها بأبسط تكوين اجتماعي وهو تكوين العشيرة [2]. وبهذا الصدد بينت نقوش ورسوم مرتفعات امساك (ازطافت – ميليت Emsack Iztaft–Millet) [3] والأكاكوس Acacus [4] بفزان – وهي تعد أقدم وثائق آثاريه قدمها الفزاني القديم تبين عمق تفكيره الروحي وطقوسRitual دينه – شخصيات إنسانية ترتدي عدة رموز لحيوان الثور كالرأس (القناع) و القرون والذيل(لوحة:1) ...الخ ؛ تعود لعصر الصيد والرؤوس المستديرة (8،000– 12،000ق.م) مما يقربها من أن تكون حيوانات طوطمية يحاكيها الإنسان في مظهرها [5] فاختيار طبيعة الرمز هو نتيجة لتأثير البيئة على الحضارة ؛فالذي نقش أو رسم هذه المناظر يتصل – بدون شك – بجوهر ثقافته وأفكاره وتصوراته حولها؛ الأمر الذي يتعارض مع تدوين (فتيحة) عن انتشار عبادة الإله الثور (ابيس Ibis) [6] – الذي سنتطرق إليه لاحقا – بجميع أنحاء مصر القديمة وارتبط تقديسه بهالة عظيمة وإجلال كبير وخاصة مع دخول الرعاة (الهكسوس Hyksos) [7] إلى مصر من نهاية القرن الثامن عشر إلى بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد؛ ومنها دخلت عبادة الثيران إلى الشمال الإفريقي [8] ،عليه سنحاول تقصي مصداقية هذا التدوين ضمن فضاءين:

---

[1] أصل الكلمة من ارطوطيمان وتعني (هذا من قرابتي) بلغة قبيلة (اوجبيبوا) – إحدى قبائل الهنود الحمر – وتعني علاقة الدم بين الأخ وأخته؛ ثم أطلقت على كل حيواناتهم خاصة التي يقدسونها وعلى العشيرة التي تقدسها، فهو ارتباط من نوع خاص بين الإنسان والحيوان؛ ومن هنا جاء تحريم صيدها وإيذائها بأي شكل من الأشكال، والعادة أن يقلد أصحاب الطوطم طوطمهم في هيئته ولهذا فهم يلبسون جلده ويعلقون جزء منه على أجسامهم. ينظر؛ محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي، المعتقدات والمعارف الشعبية، المجلد الخامس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،2011، ص103، ص179.

[2] ضياء العزاوي: " الحيوانات في المعتقدات الشعبية "، الثرات الشعبي، المجلد السابع، السنة الأولى، بغداد،1970، ص56–ص57.

[3] تعني بلغة التيفيناغ Tifinaghu(الطارقية) الأسود، وهي هضبة واسعة تقع إلى الجنوب الغربي من فزان، وإلى الشرق والشمال الشرقي من سلسلة مرتفعات الأكاكوس. للمزيد ينظر، إلينا غارشيا: " دراسات أثرية في منطقة اصطافت "، ترجمة: مصطفى عبد الله الترجمان: عربيبا القديمة، المجلد الخامس عشر والسادس عشر، العدد الثاني، ليرمادي بريتشنايدر، روما، 1996، ص12.

[4] هضبة محاذية للتاسيلي ومتداخلة معها، فمعظم أودية المنطقة ممتدة في العمق التاسيلي؛ ويرى (فابرتيشيو موري) أن مرحلة الرؤوس المستديرة ظهرت في مرتفعات الأكاكوس تم انتقلت إلى التاسيلي. ينظر؛ بن بوزيد لخضر: الطاسيلي آزجر في ماقبل التاريخ، المعتقدات والفن الصخري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، 2012، ص127.

[5] إيمان محمد نبيل: الأصول الإفريقية في الحضارة المصرية القديمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007، ص369؛ فابرتيشيوموري: تادرارت الأكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء ما قبل التاريخ، ترجمة؛ عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 1988، ص179.

[6] إله مصري عُبد على هيئة عجل بين قرنيه قرص الشمس في مدينة منف منذ عصر الأسرات الباكر وهو يعد رب التناسل وخصوبة الأرض. ينظر؛ بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص152.

[7] الملوك الرعاة أو أمراء الأرض الأجنبية وهم قبائل بدوية آسيوية غزت وادي النيل المصري وقد وصفتهم المدونات المصرية بأنهم برابرة ومدمري المدن والمعابد وأنهم لا يعرفون الدين...الخ. ينظر؛ جورج بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1966، ص348.

[8] فتيحة فرحاتي: نوميديا من حكم الملك جايا الي بداية الاحتلال الروماني 213–46ق.م، الحياة السياسية والحضارية (213–45ق.م)، منشورات ابيك، الجزائر، 2007، ص300.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

الفضاء الأول/ المحلي:

فهناك العديد من المؤشرات الأركيولوجية (Archaeology) والتدوينية وكذا الميتولوجية (Mythology)التي تؤيد وبشكل كبير الجذور المحلية لهذه العبادة، فقد سجلت البيئة الأثارية محاولات صيادي الأكاكوس بـ (كهف وان أفوده – تين طره (شرق / غرب) TinTorra (East/West) [9] وان موهجاج Uan Mahuggiag) لحجز وترويض واستئناسDomistication الحيوانات ومنها :الأروية، الأبقار والثيران ...الخ تعود لعصر الرؤوس المستديرة؛ [10] وأظهرت الرسوم الصحراوية الجاموس الإفريقي –سلف الثور المدجن – مربوط بأحجار معينة لمحاولة الإيقاع به توحي بمحاولات استئناسه (لوحة:2)[11] ؛الأمر الذي تم بالفعل، فقد عثر على جماجم أبقار و ثيران مدجنة تعود لحوالي الألفية السابعة قبل الميلاد[12]، كما احتوت صخور مرتفعات فزان على نقوش لثيران عُلق برقابها ما يشبه الطوق أو التميمة كمؤشر على استئناسها (لوحة: 3)[13].

في الواقع قد يكون وراء اختيار الفزاني البدائي للأبقار و الثيران و محاولة تدجينها في هذا الزمن التاريخي المبكر هو خليط من الدوافع النفعية و التعظيمية فأضحت محل توقيره واحترامه، فقد عثر في منطقة (تازروق Tazerouk) بمرتفعات الهقار(Hoggar) على عدد من الأحجار مع إهداءات ومنها رأس ثور تعود لعصر ماقبل التاريخ [14]؛ وكذلك تماثيل وهياكل عظمية لثيران وأبقار مطلية باللون الأبيض في منطقة منخور Mankhor – غرب تنيري – و كهف (تين هناكتن Ti–n–Hanakaten) بالتاسيلي (Tassili) [1] تعود للدور الرعوي الحديث حوالي الألفية السادسة قبل الميلاد؛ مدفونة بطريقة تشير إلى أنها أحيطت بعناية وفقا لطقوس معينة [2]؛ مما يؤيد ممارسة السكان لشعائر دينية للاحتفاء بموتها، فالاحترام يعد مؤشرًا على العبادة، أفكارًا ميتولوجية قد نجد تجسيدًا لها في كثافة مشاهد قطعانها في محطات النقوش والرسوم الصخرية بمرتفعات الأكاكوس والتاسيلي بالشكلين البسيط منها الذي لا يحمل معاني رمزية دينية و المركب وهو المتوج بقرص دائري بين قرونها (يمثل الشمس أو القمر) ربما لإعطائها صفة كونية؛ ويظن بأن هذا النموذج من الفن الصخري له صلة وثيقة بالأنثروبومورف Anthropomorph – الحيوانات المؤلهة – ويرجع بعضها لدور الصيد والرؤوس المستديرة [3] على أقل تقدير[4]؛ فالإنسان رسم الحيوانات التي كان يرى أن لها أهمية دينية له في جل الأحيان ،مما يبين أهمية هذه الشعائر المليئة بالإيحاءات الوجدانية المشحونة بالدلالات الدينية.

يبدو أن الفزاني القديم جسد معبوداته من الثيران برسم أو نحت تماثيل لها ربما بهدف أن تكون هذه الآلهة قريبة منه فيشعر بها ويتضرع إليها وهو ما يعكس انحدار الناس من حيوان معين؛ الوضع الذي قد نرصد تأصيلا له في مضمون أساطيرLegends الميتولوجيا – التي تكمن أهميتها في كونها أول شكل من أشكال الديانات والتفكير الروحاني للإنسان – لقبائل الفلاتة أوالبولالا Pulala[5] التي تشكل إحدى أطياف فسيفساء سكان الأكاكوس والتاسيلي القدماء من خلال لوحتين، يبدو أن محتواهما يكمل بعضه البعض:

---

[9] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص191–ص194.

[10] عبد الله التوم كوري: الصحراء الليبية ونمطية الانتشار الثقافي " جذور الثقافة النوباوية نموذجا "، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الفاتح، طرابلس الغرب، 2007، ص108–ص109.

[11] سالم محمد عبد الله: العلاقات الخارجية للملكة الجرمية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2015، ص108–ص109.

[12]Mattingly David and et al, The Archaeology of Fazzan Vol.1, Synthesis, Published by the Department of Antiquities, The Society for Libyan Studies, London. 2003 .Pp75.

[13] سعد أبو حجر: " الفن الصخري في منطقة جبل العوينات "، التواصل الحضاري الليبي السوداني عبر العصور، أعمال الندوة العلمية العاشرة 1–2–2002، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2006، ص57.

[14] كحيل البشير عطية: " الطوطمية وتقديس الحيوان لدى الإنسان المغاربي القديم "، مجلة البحوث التاريخية، بدون، الجزائر، 2009، ص3–ص4.

[1] التاسيلي آجر: تعني السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد؛ أما آجر فتعني جلد الثور المسلوخ أو الرأس الأقرع. للمزيد يراجع؛ إبراهيم العيد بشي: تاسيلي ناجر البنية الجغرافية والحضارية، ج1، دار الحبر، الجزائر، السنة، ص84.

[2] محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص388–ص389.

[3] كحيل البشير عطية: مرجع سابق، ص4.

[4] محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج1، مرجع سابق، ص388–ص389.

[5] عرق مختلط يشمل عناصر من الأمازيغ والزنوج وساميين عرب من آسيا وهم جزء أصيل في تكوين الفراعنة على مر التاريخ. للمزيد راجع:

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

الأولى / نقش صخري في (وادي جرات jerat) بالتاسيلي يمثل فحلاً برأسين (لوحة:4)، فسر بأنه يشير إلى الثور المخنث وهو مخلوق من صنع (جينوGueno) [6] الجد الأول لكل الماشية في القطيع، ويطلق على الشعائر التي تتم بوجود هذا الثور (لوتوريLotori) [7] المقدس[8].

الثانية / مشهد بـ (تين تزاريفت Tin – Tazarift) أيضا بالتاسيلي ويدعى بـ (الثيران الارتسامية أو التقليدية) لأن قوائمها تبدو صغيرة مثل الجذوع فيُعتقد أنها مقرفصة؛ إلا أن الباحث الفلاتي (حامباتي با Hampate ba) ذكر أن الثيران كانت مقوده إلى الماء كجزء من شعائر اللوتوري احتفالاً بأصول الثيران المائية [9]. كما قُرِءَ من المشهد الغامض الذي يجاور المشهد السابق ويُظهر إصبع أسطورة (يد الراعي الأول) ويدعى (كيكالاKikala) المرتبطة في المحتوى الثقافي لقبائل الفلاته بألوان جلد الثيران والعناصر الطبيعية الأربعة (النار – الماء – الهواء–التراب) [10]؛ لا شك في أن هذه الأساطير[11] – التي تشكل إحدى مرتكزات الدين وثمرة ممارسة وتأملات وخيالات مسيطرة على جماعة محددة – تشير من طرف إلى احتمال مولد الأسطورة التي تدور حول الخلق والوجود الكوني؛ ومن طرف آخر إلى تأصيل قوي لثقافة الثيران ضمن المجتمع المحلي لسكان فزان القدماء، سرد يغديه اعتقاد قبائل الأكان(Akan) بمملكة غانا القديمة والتي يظن بأن جذورهم الأثينية تعود للصحراء الليبية (مرتفعات الأكاكوس والتاسيلي) قبل رحيلهم بعرباتهم التي تجرها أربعة خيول، مما يذكرنا بقبائل الجرامنت بفزان [12] بأن أصول أسرتهم الحاكمة تعود إلى ثور[13] .

في المجمل تدفعنا الدلائل التدوينية أعلاه دفعا إلى اتجاهين:

الأول / عمق الجذور التدجينية للثيران في مساحة الثقافة الفزانية القديمة.

الثاني / تعكس نقوش ورسوم لوحات الثيران بمرتفعات الأكاكوس والتاسيلي لحد بعيد أصالة فكرة عبادة الثيران في حد ذاتها في شكل عقيدة طوطمية.

قد يمكن وضع تصورعن تحول الطقوس الدينية لمجتمع فزان تدريجيا من ارتداء جلودها (الذيول) إلى تقمص أشكالها –فالأثر الروحي للجلد لايزال الباحث يلاحظ استمراره في ثقافة المجتمع – [14] إلى الاستعانة بأقنعة تماثلها؛ وإذا ما صح ذلك فإن القول بأن روح التدين أو الغريزة الروحية كانت السمة الغالبة على عقل الفزاني البدائي منذ فجر التاريخ يقف على أرضية صلبة ومتينة، فالدين وجد في النفس البشرية بالفطرة.

الفضاء الثاني / الخارجي:

وفيه يطرح السرد التدوني لـ (عبدالمنعم) إشكال فشل محاولات المصريين القدماء في استئناس الحيوانات المجتراه مثل : الأبقار و الثيران الوحشية [1]؛ وفي الآن ذاته يقر (نجيب) بأنهم يجهلون من أين جاءت الثيران ذات

Bates, Oric, The Eastern Libyans an Essay Cass and company, London, 1970, p55.

الشيخ أنتا ديوب: الأمم الزنجية والثقافة، ترجمة، ريما إسماعيل، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 2001، ص 258.

[6] جينو: الرب والإله الأوحد وخالق العالم لدى قبائل الفلاتة ويعتقدون بأنه خرج من قطرة حليب. ينظر: بن بوزيد لخضر؛ مرجع سابق، ص180.

[7] هي شعائر احتفالية تمارس كل سنة من قبل الرعاة الفلاتة في وقت يحدد بواسطة الأشهر القمرية ويشرف عليها شيخ ديني كبير؛ وتمارس هذه الطقوس حول بحيرة أو وادي ويتم فيها استحماما جماعيا لأفراد القبيلة وذلك خلال مدة تقدر بخمسة عشر يوما. للمزيد ينظر: بن بوزيد، نفس المرجع، والصفحة ذاتها.

[8] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص220.

[9] حمدي عباس أحمد: الوظائف الثقافية والاجتماعية لفن ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الانثربولوجيا، جامعة الاسكندرية، 1994، ص237.

[10] ج. كي. زيربو: " الفن الإفريقي في ما قبل التاريخ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في أفريقيا، اليونسكو،1980، ص669.

[11] وهي تعبير عن وعي الجماعة الإنسانية بذاتها وإدراكها لهويتها وتعكس أسس الحياة الاجتماعية وعلاقة المجتمع بعالم الآلهة والقوى فوق الطبيعة وثمرة تأملاتها وخيالها وممارساتها؛ فهي تعويض عن غياب الحقائق التاريخية الجزئية التي لم يسجلها الإنسان في بواكير رحلته التي لم تنته بعد في رحاب الدهور البعيدة. ينظر؛ سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص95.

[12] قبائل كان أسلافها ضمن ملوك الأسر الحاكمة بمملكة غانا القديمة. ينظر؛ سالم محمد عبد الله: مرجع سابق، ص114.

[13] فيفي محمد حسن: قضايا في المسرح الإفريقي، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، 1999، ص95.

[14] ففي الموروث الحضاري لقبائل الطوارق أن طبل أميرهم المصنوع من جلد يمتلك قوة سحرية خاصة؛ لذا ينبغي ألا يمس الطبل الأرض وإذا تمزق الجلد يفترض على أقوى المحاربين أن يصنع الجلد الجديد وسط طقوس دينية خاصة. للمزيد ينظر؛ عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1969، ص116.

[1] عبد المنعم أبوبكر: " مصر الفرعونية "، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة، اليونسكو، ط2، 1998، ص107.

القرون القصيرة المتباعدة إلى أرضهم[2]، إلا أن هذا الإشكال قد يُحسم ضمنيا من فحوى سرد واستنباط (إيمان) عن تواجد مختلف أنواع الثيران ذوات القرون الطويلة والقصيرة والتي بدون قرون منحوتة ومرسومة بمرتفعات الصحراء الوسطى[3] بأعداد ضخمة تعود لمرحلة الرؤوس المستديرة؛ فهو يدل على أسبقية تواجد هذه الحيوانات بالصحراء عن مصر القديمة ومعرفة عتيقة بثقافة رعيها[4] واستئناسها قبائل كان أسلافها ضمن ملوك الأسر الحاكمة بمملكة غانا القديمة، ويظن بأن جذورهم الإثنية تعود للصحراء الليبية قبل رحيلهم بعرباتهم التي تجرها أربعة خيول، مما يذكرنا بقبائل الجرامنت بفزان. [5] ؛يساند ذلك تدوين (عبدالله مع حسن) بأن قبائل التحنو(Tehenu) سكان الواحات الليبية الشرقية هم أول من استأنس الحيوانات وقد عرفوا واشتهروا عند المصريين القدماء بأنهم الليبيون في أوسع معاني الكلمة[6]؛ وكان يطلق على مقاطعاتهم أو أقاليمهم (الأول ، السادس ، العاشر و الثاني عشر) اسم الثور (ثور الصحراء أو الثور المتوحش)[7]؛ مما يعطي مؤشرا على وجود علاقة مفترضة بين ثقافة الثيران بمجتمع فزان ومضمونها في المجتمع المصري القديم؛ تخريج محتمل يزكيه الجمع بين سرد (بن بوزيد) أن جل الآلهة في المعابد المصرية برؤوس حيوانية و ذات أصول حيوانية وُقرت وعبدت لذاتها في شكل طوطمي مقدس (Sacred) منذ زمن بعيد [8]؛ ونفي (جيمس فريزر James Frezer) أن تكون جذور هذه العبادة تعود لمجتمع زراعي ويرجعها لمجتمع الصيد والرعي[9]، وقد وجد أقدم هذه النماذج في هضبة أمساك ازطافت بفزان تعود لعصر الصيد (لوحة:5)[10]، مما يقربه من افتراض (سمير) بوجود تأثيرات ليبية في الآلهة المصرية ناتجة عن هجرات بشرية من الصحراء[11]؛ وبتحديد أكثر دقة يذكر (صبحي) بأن سكان الجنوب الليبي القدماء مهدوا للحضارة المصرية القديمة بعد هجرتهم بسبب تغير المناخ نحو الجفاف – فبحر الرمال العظيم عند الحدود الليبية المصرية لم يقم بدور الحاجز المنيع كما قد يبدو الأمر لأول وهلة – حاملين معهم خبراتهم المادية والمعنوية[12]؛ ومنها على الأغلب تقديس وعبادة الثيران ،فقد عثر في مقابر فراعنة الأسرة الأولى أو قبل ذلك على رؤوس للثيران[13] ويبدو أنها الثقافة الأصل في طقوس التوقير والإجلال اللذين كانا يوجهان للثيران في عصر ما قبل الأسرات المصرية ومنها تأصلت عبادة وتقديس ثورين محددين هما: (حابHab) و(مر–أورMer–Or) اللذان حورهما اليونانيون إلى (منفيسMenphis) و(أبيس) –السالف ذكره –[14] الأمر الذي يحيلنا لأهمية السرد السابق حول طقوس دفن الثيران بـ (تين هناكتن) وأقدمية ثقافة الثيران عند سكان فزان القدماء

---

(2) نجيب ميخائيل: " الزراعة "، سلسلة الحضارة المصرية، المجلد الأول، العصر الفرعوني، القاهرة، بدون، ص518–ص518.

(3) تضم عددا من المراكز الثقافية والحضارية النادرة في نوعها ومنها: الأكاكوس والتاسيلي والهقار وكذا هضبة امساك ازطافت والإير مع تبستي. ينظر؛ بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص126.

(4) يدلل على شدة التآلف بين الراعي الفلاتي وماشيته من الأغنام والأبقار والثيران استخدامه للمزمار في التخاطب والتعامل معها. راجع؛ سليجمان. س. ج: السلالات البشرية، ترجمة، يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، القاهرة،1965، ص170.

(5) إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص159–ص162.

(6) عبد الله حسن المسلمي: "العلاقات الليبية –البربرية مع مصر القديمة، التحنو في المصادر المصرية "، ليبيا القديمة، اليونسكو،1984، ص59؛ سليم حسن: مصر القديمة، ج7، القاهرة، 1950، ص36.

(7) حسين عبد العالي مرجع: العلاقات الليبية الفرعونية "منذ عصر ماقبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر"، دار أماني للطباعة، دمشق ،1989، ص36؛ سمير أديب: مرجع سابق، ص171–ص172؛ محمد بيومي مهران: المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج1، مصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون، ص128.

(8) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص150.

(9) جيمس فريزر: الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، ترجمة: نايف الخوص، دار الفرقد، دمشق، 2014، ص644.

(10) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص130–ص131.

(11) سمير أديب: مرجع سابق، ص187.

(12) صبحي الشاروني: فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص21؛ بياتريكس ميدان – رينيس: عصور ما قبل التاريخ في مصر، ترجمة: ماهر جويجاني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص201.

(13) أحمد فخري: الأهرامات المصرية، ترجمة، أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963، ص261، ص306.

(14) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص152؛ واليس بدج: آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994، ص48.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

واعتقاد (جاردنر Gardener وأم الخير) بأن ملوك ما قبل الأسرات في الدلتا وأغلب أسر الدولة القديمة ومنها بالضرورة الأسرة الأولى[15] هم من جذور ليبية[16].

في الواقع وبغض النظر عن القول بأن الظروف المتشابهة تخلق في العقل البشري إنتاجا متماثلا في مناطق متعددة وتحت سماوات مختلفة فإنه ليس هناك سوى قليل من الشك في تجدر ثقافة تدجين وتوقير الثيران بواحات فزان وانتقالها إلى المناطق المجاورة ومنها وادي النيل المصري بل قد يمكن الذهاب أبعد من ذلك بالاعتقاد أن الأمر لا يتعلق بوجود تأثيرات ثقافية بين الطرفين بل هو استقرار بشري في محيط جغرافي.

ثانيا/ كينونة الإله وتجلياته:

لقد بدأ وعي الفزاني القديم بالعالم الحيواني خلال مرحلة الجمع والصيد، يستشف ذلك من المنحوتات الحيوانية الضخمة على الصخور الصلبة بمرتفعات إقليمه وواحاته؛ وبعد ذلك أخذ يتعرف تدريجيا على الخصائص المميزة لكل منها كقوة الفيل وسرعة الفهد وحظي بعضها بالاحترام والتعظيم كالثور[1]؛ مما يطرح عدة تساؤلات، منها: لماذا عبد الفزاني البدائي الثور؟ وماهي ماهية أو كينونة هذا الإله؟ وهل كانت له رموز أو تجليات؟ وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات سنعمل على طرحها وفقا للسياق التالي:

1- **دوافع وغايات التقديس/** لا جدال في أن ظهور أي معتقد ديني لا يكون عرضيا وإنما هو نتاج استجابة لرغبات الإنسان الأساسية، وبهذا الصدد يأخذ سياق بداية إجلال مجتمع سكان فزان للثيران في عصور ما قبل التاريخ منحنى بداية توقير وعبادة الإنسان البدائي للحيوانات وفقا لمنظور عام عندما لم يكن عالم الإنسان منفصلا عن عالم الحيوان ولم يشعر بعد بسيادته على الطبيعة المحيطة به، فالخيط الرفيع الذي يفصل بينهما لم يكن مرئيا لديه[2]؛ ويمكن تلخيصها في دافعين:

أ/ الدافع البيولوجي Biology: وهو رغبة القناصة والصيادين في الاستفادة من خيرها فهي تشكل موردا أساسيا في رزقهم ومعيشتهم؛ فطعامهم وشرابهم من لحومها وألبانها تعيلهم من غالة الجوع وفقدان الغذاء الذي يؤدي بهم إلى الموت، كما تحقق لهم منافع أخرى شاقة كالنقل؛ وعلى هذا فشدة تعلقهم بالحياة والخشية من قلة الغذاء والمجاعة حملهم على احترامها وتقديسها.

ب/ الدافع الميتولوجي: فمن خلال صراعهم معها أيقنوا ضعفهم وعجزهم مع ما تمتلكه هذه الحيوانات الضارية من قوة خارقة قياسا بقدرتهم، فأعجبوا بها وخشوا غضبها ورأوا أن يحترموها ويبجلوها اتقاء لشرها ولإبعاد الأذى عنهم[3].

في المجمل لقد خرجت مشاعر التقديس لدى الشعوب البدائية من منبع واحد يتجسد في معنى واحد وهو الرغبة في التقرب من القوى المحيطة بهم والمهيمنة على حياتهم للانتفاع من خير يرجونه منها وخوف ورهبة من قواها الخارقة وخشيتهم من غضبها والمخاطر التي قد يتعرضون لها؛ دفعهم ذلك إلى توقيرها وإجلالها ومن ثم عبادتها.

وعند محاولة لإسقاط هذه الدوافع العامة على إجلال الفزاني القديم لحيوان الثور نقول لعل امتلاكه لعدة سمات وخصائص جعلت منه محل تقديس وعبادة وتأليه ومنها:

---

[15] يقسم العلماء هذه الفترة من الحضارة المصرية القديمة إلى فترتين:

الأولى / الفترة الطينية: تضم الأسرتان الأولى والثانية من حوالي (3200–2780ق.م).

الثانية /الدولة القديمة: تشمل الأسرة الثالثة إلى السادسة من حوالي (2780–2280ق.م) من القصص الحقيقية في الذاكرة المصرية القديمة أن هضبة الجيزة كانت تعرف في زمن الفرعون (خوفو) في الدولة القديمة بالجبل الليبي، وقد احتوت مدافن فراعنة الأسرة (الأولى، الثانية، وكبار الثالثة والرابعة) مما يعكس وبشكل كبير أصولها الليبية القديمة. للمزيد ينظر: سمير أديب: مرجع سابق، ص 18؛ إسماعيل حامد: موسوعة الأساطير الفرعونية، مكتبة النافذة، القاهرة ،2009، ص269؛ سيريل ألدريد: مرجع سابق، ص34–ص36.

[16] أم الخير العقون: العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال أفريقيا "منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد "، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 1988، ص142؛ نادية محمد خضر: المقابر المصرية القديمة في الواحات، دراسة لغوية وأثرية مقارنة منذ أقدم العصور حتى نهاية العصر الفرعوني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ والآثار المصرية الإسلامية، جامعة الإسكندرية، 2009، ص9–ص11.

[1] ريشاتي: الصراع بين الإنسان والحيوان، ترجمة: عياد موسى العوامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 1994، ص217.

[2] نعيم فرح: تاريخ حضارات العالم القديم وما قبل التاريخ؛ سياسيا – اقتصاديا – اجتماعيا –ثقافيا، دمشق، 1979، نص133.

[3] كحيل البشير عطية: مرجع سابق، ص3–ص4؛ سكوت وندرات وفابري: " قرون الحيوان في عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وآثارها في حضارات أخرى "، ترجمة: عديلة حسن مياس، ليبيا القديمة، المجلدان الثالث والرابع، باردي، روما، 1968، ص105.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

1- قوته الجبارة القاهرة/ فمن معايشته لها أذهلته ضخامتها وقوتها المرعبة مع شراستها وضراوتها فأيقن وسلم بضعفه وأعجب بها وخشى بأسها وغضبها ومن ثم كن لها الاحترام والتبجيل[4]؛ قد يستشف ذلك من عدة لوحات حاملة لأفكار رمزية ومنها لوحة (رحرملان Rahremlan) بالأكاكوس وتعود للدور الرعوي القديم (لوحة:6) ويظهر فيها ثور يعتقد (فابرتيشيوموري Fabertishio Mori) بأنه رمز للقوة في ذهنية راسميها [5] ؛بمعنى آخر لعل الصيادين اتخذوا من هذا الثور مصدرا يستلهمون منه القوة قبل رحلة صيدهم ليمكنهم من مواجهة الحيوانات الضارية؛ قد يقوي ذلك الاعتقاد أن القرون ترمز دائما إلى السلطة والقوة حيث نرصد(في نفس اللوحة) رسما لرأسي ثورين بقرنيهما إلى الخلف من ثور اللوحة، فالرسوم تعكس مشاعر وانفعالات منجزيها ،وهذا المشهد ليس التعبير الوحيد لتمجيد القوة البدنية للثور؛ فقد عثر في (امراوين Imrawen) بالأكاكوس أيضا على منظر يحوي صيادا يرتدي قناعا لثور بري (لوحة:7) [6]؛ يظن (كامبس camps) أن ارتداء القناع في رسوم الصحراء كان لأجل الصيد ،إلا أن الباحث (باجيPager) عندما سأل قبائل البوشمن(Bushmen) في جنوب أفريقيا عن صورة الإنسان برأس ظبي في الرسوم الصخرية قالوا أنها تمثل خالقا أسطوريا [7] ؛وليس بعيدا عن هذا التفسير فإن قناع امراوين يكسب حامله صفات وخصائص الكائن الذي يمثل القناع فيصبح جسده بمثابة إناء حامل لقواه الخارقة لتضمن له التغلب على ضعفه الفيزيقي أمام الحيوانات؛ وهو ما قد يُقرأ من مضمون لوحة وجدت في منطقة عالية (بعين هابيتر In Habeter) بإمساك ازطافت تتضمن شخصيات بشرية أسطورية تمثل إله للصيادين، مثلث وهي تقوم بأعمال تفوق قدرة البشر كحمل أرخص (Auroch)[8] على كتف رجل برأس كلب (لوحة:8)[9]؛ إذ تبدو العلاقة بينة في عنصري القوة الروحية (الآلهة) والبدنية (الثور)، وضمن نفس الإطار الجغرافي يستشف من محتوى إحدى رقصات قبائل الزغاوة (Zaghawa)–السكان القدماء بمرتفعات الصحراء الوسطى – في نهاية موسم حصاد الحبوب حيث يرتدي الراقصون جلودا ثقيلة لأبقار أو ثيران و يضع كل واحد منهم على رأسه قرنين تعبيرا عن القوة ثم يتحركون بحركات إيقاعية بأرجلهم و يقفزون من موضع إلى آخر والذي يستمر في الرقص لأطول فترة ممكنة يتولى زعامة القبيلة وحمايتها [10] ؛ مما يؤكد على العلاقة بين الثور و الرئاسة (الحكم) والقوة البدنية. واستمرارا في رصد مؤشرات توحي بتضخيم وتمجيد الفزاني القديم للقوة الجسمانية للثور الوحشي يستنبط من محتوى منظر بالأكاكوس يعود للدور الرعوي القديم يمثل ثورًا كبير الحجم – يفوق الواقع – يحيط به عدد من الرجال و النساء في صور صغيرة وهزيلة قياسا بالثور[11] أرجع (جيديونGedion) هذا المضمون إلى فترة ما قبل الميتولوجيا عندما عد الإنسان القديم نفسه جزء من الخليقة خاضعا لقوى لا يدرك كهنتها مما جعله يعتبر الحيوانات أكثر منه قوة [12] ؛ قد يناصر ذلك المقاربة المحتملة بين ما درج عليه الفن الفرعوني من تصوير الآلهة والشخصيات الهامة كالملوك بحجم أكبر من المعتاد (السوبرمان Superman) كما في صلاية الملك (نعرمر Narmer أو مينا Mina) (لوحة:9) ،فقد ظهر الملك من جانب بحجم كبير وهيئة مهيبة و قامة ممشوقة وعضلات مفتولة كرمز للشباب [13] مما يستدعي إلى الذهن أننا بصدد إله وليس حاكم من البشر مفوض من قبل الإله[1]؛ ومن جانب آخر على هيئة ثور يناطح بقرنيه سور مدينة كمؤشر على القوة؛ حيث يوجد تماثل طوطمي بين الملك الشاب المحارب وقوة الثور[2] وما اعتاد عليه أيضا الفزاني القديم من تصوير الشخصيات ذات المقامات العالية بحجم كبير خلال فترة دور

---

(4) لعل رياضة المصارعة الحالية بين الإنسان والثور هي امتداد لذلك الصراع القديم بينهما. (ملاحظة الباحث).

(5) فابرتيشيوموري: مرجع سابق، ص141.

(6) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص210؛ إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص202.

(7) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص208.

(8) ثور بري منقرض امتاز بعنفه وبقرونه الكبيرة مع شجاعته وقوته الضارية. للمزيد راجع: ريشوني: مرجع سابق، ص142.

(9) اندريه لوروا غوران: أديان ما قبل التاريخ، ترجمة: سعاد حرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 2005، ص20.

(10) الهادي المبروك الدالي: قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا، منشورات مركز البحوث والدارسات الأفريقية، طرابلس الغرب، 2013، ص174.

(11) وفي فترات لاحقة أضحت أقل حجما مما يشير إلى تغير في التفكير الديني للسكان ونظرتهم في قدسية الحيوان. ملاحظات الباحث.

(12) سكوت وندرات وفابري: مرجع سابق، ص105.

(13) إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص160، ص210.

(1) سيريل ألدريد: الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة: مختار السويقي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 1996، ص93.

(2) نجيب ميخائيل: مرجع سابق، ص517–ص518.

الرؤوس المستديرة (لوحة:10) وهو سابق للفن الفرعوني بفتره طويلة من البعد الزمني[3]؛ كما يرى (صبحي) بأن خصائص لوحة نعرمر الفنية (النقوش البارزةbas- relief) من تأثيرات فنون هضبتي الأكاكوس والتاسيلي [4]؛ بل إن هناك من العلماء من يعتقد بأن الملك نعرمر ذو جذور ليبية أساسا[5]، ثم إن احتفاظ الذاكرة الجمعية Folk-ways لمجتمع فزان بالمثل الشعبي المأثور" الأرض موضوعة على قرني ثور" [6] رغم قدم عهده وبعد أمده يعد حجة على:

أ- أنه بقايا لعبادة الثور التي اندثرت ولم يبق منها سوى إشارات موجزة توحي بالمعتقد.

ب- أن الثور أحد رموز القوة الجسمانية الفائقة في ثقافتهم الميتولوجية.

على ضوء الشواهد أعلاه قد يمكن القول بكثير من الثقة أن الفزاني البدائي أيقن عجزه أمام الثيران الضخمة بما تملكه من قوة مرعبة فأعجب بها وخشي غضبها فكن لها الاحترام والتقديس.

2- قوته التناسلية/ تأصل في ذهنية الإنسان البدائي قدرة الثور الفائقة على الإخصاب المتتابع أي القدرة على التكاثر والتوالد؛ لذا ربط بينه وبين عملية الخلق والبعث (الحياة) بسبب هذه القدرة الكامنة فيه وهو ما أهله ليكون نموذجا للعنصر المذكر في الطبيعة[7] (68)، مقدرة الثور وقوته الإخصابية تعلنها خصائصه الطبيعية مثل القرون والتي يري (برسيا الياد Persia Elyad) بأنها رمز للحياة، ولا يشكك عالم الحيوانات (فرتز والتر Fertese Walter) في استخدام الثيران لقرونها بغية الدفاع عن نفسها إلا أنه يشدد في أنها كانت بالدرجة الأولى لخدمة الذكورية بهدف نيل السعادة التناسلية وهي التي لاتعد تذكيرا بخصوبة الأرض وروابط الإنسان بها؛ بل أيضا بالرغبة التناسلية لدى الإنسان[8]؛ فالقرون كانت ترمز دائما للقوة الذكرية إلا أنها تُهدى للآلهة الأنثوية؛ وهو ما يرصد في ثقافة مجتمع مرتفعات الأكاكوس والتاسيلي ضمن محتوى مشاهد عدد من اللوحات يرصد منها (هنري لوث Henry Lothe) لوحة السيدة البيضاء (بأونرحات Awanrhat) بالتاسيلي (لوحة:11) حيث تظهر امرأة كبيرة الحجم تبدو وكأنها إحدى ربات الخصوبة تزين رأسها بقرني بقرة أو ثور[9]؛ وهو منظر انطوى على عدة مضامين مختلفة منها تجسيم الآلهة ومنح الخصوبة بالارتباط الوثيق بين المرأة التي تمثل الخصوبة الإنسانية والهلال (قرون الثور) الذي فيه قوة الإخصاب. وتتابعا في رصد ارتباط الثور كحيوان ذو قوة تناسلية بمعاني الإخصاب والخلق و قدرته الكاملة كمصدر للحياة في عقلية صيادي ورعاة فزان ربما يجليه منظر بـ (وان أميل Uan Amil3) بالأكاكوس يعود للدور الرعوي القديم (لوحة:12) يصور ثورا خط ورسم باللون الأسود مع بقع بيضاء في مكان منعزل وكأنه في محراب طبيعي لوحده؛ ويظن (موري) بأنه تخليد لذكرى نموذج نادر لجماله والاعتقاد بقدرته التناسلية على عملية الإخصاب والخلق؛ فهو الوحيد بمرتفعات الأكاكوس [10] ربما كان سببا في انعزاله وتميزه عن بقية أفراد جنسه؛ وفي الآن ذاته قد يذكرنا بالسرد السالف حول الثور المخنث (جينو) وقدرته الخالقة للماشية؛ الأمر ذاته قد يكون في مضمون لوحة (البوفيدي Bofidi) - من فصلية الثيران - بفزان (لوحة:13) وتظهر تداخلا لمؤخرتي الحيوان [11] مما قد يشير إلى القوة المخصبة للثيران والباعثة للحياة في ثقافة المجتمع الفزاني - فأساطير الثيران الأرضية تتضمن جملة مفاهيم عن خلق الكون والآلهة (لوحة:14) - كما احتوت صخور واحاتهم رسوما لحيوانات ذات رؤوس كلبية (الكلب، الذئب، ابن آوى) التي عرفت بقدرتها التناسلية الخالقة والواهبة للحياة، وشكلت بؤرة لانتشار هذه الثقافة للمناطق المجاورة لهم (لوحة:15) [12]. وضمن المحيط الجغرافي

---

[3] فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص173.

[4] صبحي الشاروني: فنون الحضارات الكبرى، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1996، ص92.

[5] حسين عبد العالي مراجع: مرجع سابق، ص62-ص63.

[6] يشمل الموروث الثقافي العادات الاجتماعية وهي بصفة عامة كل سلوك متكرر يكتسب ويتعلم ويمارس اجتماعيا، وتعد من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها التراث الثقافي في بيئة اجتماعية والتي تكون في الأساس ناتجة عن تفاعل الجماعة البشرية مع بيئتها الطبيعية. ينظر؛ إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص109.

[7] ول ديورانت: قصة الحضارة، ج1، ترجمة: محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1955، ص57.

[8] ريشوني: مرجع سابق، ص221-ص223.-

[9] هنري لوث: لوحات تاسيلي، قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة، أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، 1967، ص129.

[10] فابرتيشيو موري: مرجع سابق، 142.

[11] باول جراتسيوسي: دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ترجمة: إبراهيم أحمد إمحمد، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2008، ص74.

[12] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص201-ص202.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

والثقافي لفزان وتحديدًا مصر القديمة ارتبطت القوة أو القدرة الذكورية للثور بالـ (كاKA)[13] تعبيرا عن قوة الحياة الخالقة والحافظة أو (القوة الحيويةAnimation) وهي طاقة دائمة ليست مادية ولا مرئية محركة لكل شيء ومسؤولة عن إمداد الشخص بنشاطه وفاعليته وصحته وحياته؛ انتقلت من الخالق إلى الكائنات الحية وقد حلت في سيد الأرض (الملك) فهو المنوط بتوفيرها عن طريق كائه وهذه الطاقة تنتقل بالأضاحي؛ خاصة بعض الحيوانات التي تحمل كماً عاليا من الطاقة المرتفعة كالثور[14] القوي[15]؛ وهي تدون بالهيروغليفية Hieroglyphs المصرية بعلامة الدراع المرفوعة (KA) (لوحة:16) بمعنى التضرع وتحريك القوى العليا أو فكرة الثور ضخم القامة وأحيانا على حامل في وضع التوسل أو ربما الحماية (U)[1] وتتركز هذه القوى الحيوية في أجزاء رئيسة من الجسم مثل: القلب، الكبد، الجمجمة وخصلة الرأس[2]. في الواقع إن الارتباط الثقافي بين القدرة الذكورية للثور و(الكأ) كتعبير عن الحياة الخالقة ثقافة قد نلاحظ جذورا وامتدادا لها في المضمون الحضاري لمجتمع الأكاكوس والتاسيلي من لوحتين:

الأولى: تظهر مجموعة من الرجال والنساء في وضع الجلوس وهم يرفعون أدرعهم ربما تكون رقصة طقسية في وضع قرون البقر أو الثور (لوحة:17)

الثانية: تبين مجموعة من الأبقار تمر من خلال شكل حرف (U) الذي يمثل (الكأ) رمز الحماية (لوحة :18)[3].

وفي الآن ذاته قد يمكن الجمع بين مراكز القوى الحيوية في البدن والأهمية الدينية التي يضعها سكان فزان القدماء في كون الكبد وخصلة الشعر[4] من المحرمات من حيث أكلها أو قصها[5] ، مما يشير إلى قوة الثور الفزاني المخصبة والباعثة للحياة في التفكير الديني للمجتمع؛ الأمر الذي حفظه لنا التاريخ محفورا في ذاكرتهم الجمعية متمثلا في تفضيل النساء النوم على جلد الأبقار أو الثيران ليكتسبن القدرة على الإنجاب. وفي الاتجاه ذاته يصل (موري) بعد دراسته لنقوش ورسوم الثيران بالأكاكوس إلى ارتباطها بمعاني الخصب في حياة راسميها وقد نالت تعظيما لصفاتها غير العادية من أجل الأغراض السحرية[6].

وعلى هذا يبدو أن هناك احتمالا قويا بأن المجتمع الفزاني كان من ضمن دوافع اختياره للثور كمعبود مقدس هو إدراكه واعتقاده بطبيعته البيولوجية والفسيولوجية Physiological التي تميزه عن بقية الحيوانات الأخرى كونه مؤثرا في عمليات الخصوبة والحياة المتجددة أو الخلق والبعث وهي العقيدة التي كانت محور تفكيره منذ القدم. فهذه المناظر في عمومها تمثل جسرا بين الفكرة الواقع.

3- الأروحية Animism / وهي التعبير المتقدم والأساسي عن الدين[7] ،فالصراع بين الحيوان القوي مثل الثور والإنسان الضعيف وانهزام الأخير ثم ما يلبث أن يسلم الروح ليتحول إلى جثة هامدة، ربما جعل الفزاني البدائي يظن

---

[13] أو القرين؛ شخصية مجردة (غير حسية) تولد مع الإنسان وتتصل بجسده بطريقة ما وتتسم بجميع السمات التي يتصف بها الإنسان وتبقى معه ولا تتركه حتى بعد موته في المقبرة ما دام أهل الميت يحافظون على وجودها عن طريق تقديم الطعام والشراب، وهي بقايا الطوطمية الأولى أي قبل الانتقال من المحسوس إلى المجرد. للمزيد ينظر ؛ واليس بدج: الديانة الفرعونية، ترجمة: نهاد خياطة، دار علاء الدين، دمشق، ط2، 1993، ص174؛ كليرلالويت: نصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص54-ص55.

[14] ضمن المخزون الثقافي لقبائل الشلوك في السودان أن لكل فرد منها ثور مقدس يحمل اسمه؛ فإذا توفي صاحبه ذبح الثور وتوضع قرناه على قبر صاحبه. للمزيد يراجع، هوبيرديشان: الديانات في أفريقيا السوداء، ترجمة، أحمد صادق حمدي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1952، ص37.

[15] علي فهمي خشيم: آلهة مصر العربية، ج2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1990، ص66، ص70.

[1] سيد عبد الكريم: لغز الحضارة الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص136؛ إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص210-ص212.

[2] هوبير ديشان: مرجع سابق، ص10-ص11.

[3] منشينغ هورست: " هل تزحف الصحراء"، الصحراء الكبرى، ترجمة: عماد الدين غانم وآخرون، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 1979، ص279.

[4] يظن سكان بلاد دار فور بالسودان – ضمن مجال إقليم فزان الكبير – أن الكبد هو معقل الروح ويمكن للإنسان أن يوسع روحه بأكله كبد الحيوان، الأمر الذي يمكن إسقاطه أيضا على ثقافة سكان فزان القدماء ولا يختلف الوضع في الأهمية الدينية لخصلة الشعر. ينظر جيمس فريزر: مرجع سابق، ص638؛ هيرودوت: الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت الكتاب السكيني والكتاب الليبي، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي ،2003، ف175؛ ملاحظات الباحث بمنطقة الدراسة.

[5] هلموت كانتر: ليبيا، دراسة في الجغرافية الطبية، ترجمة: عبد القادر مصطفى المحيشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، بنغازي، 2002، ص122-ص123.

[6] فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص 55.

[7] جاك كوفان: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ترجمة: سلطان محيسن، مطبعة الشام، 1988، ص78.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

بأن سر قوة هذا الحيوان تعود لامتلاكه قوة خفية غير مرئية وهي الأرواح التي تمتلك قوة خارقة تسيطر بها وتتحكم في مسيرة الكون وحياة الإنسان؛ وقد اتخذت من النبات والحيوان مستقرا لها وصُورت حسب (جيمس فريزر) على هيئة حيوانات بعضها برؤوس آدمية والبعض الآخر على هيئة بشر بأجسام نصف حيوانية[8] في الأعم[9]؛ وهو ما يلاحظ في نقوش ورسوم سكان فزان القدماء وتعود لدور الرؤوس المستديرة؛ عليه ربما آمن سكان مرتفعات الأكاكوس بوجود الأرواح في الثيران ضمن أنواع أخرى من الحيوانات ودفعهم ذلك لتقديسها وعبادتها خوفا منها واتقاء لشرها.

4- التفرد و المهابة / تعد من خصائص الثور إضافة إلى التوجس والوقار وكذا العزلة؛ فهو يظهر كزاهد أو ناسك منقطع للعبادة في صومعته [10]؛ الأمر الذي يتوافق مع اختيار الفزاني المتدين لمواقع بعض نقوشه ورسومه، فيرصد من جانب؛ ثيران تظهر منفردة ومعزولة كرسم الثور الأسود بتشونيت – Teshunit الذي تبدو عليه علامات القوة الجسدية[11]؛ ومن جانب آخر أن أماكن تواجدها تتميز بأنها كتل صخرية يصعب الوصول إليها وتتخللها الأودية والكهوف الصخرية ذات المداخل الضيقة والمظلمة [12]؛ وعلى ذلك ربما علق في العقل الفزاني أن هذا الحيوان جدير بالعبادة. وعلى هذا نظن بأن الفزاني البدائي وبفطرته خضع وتفاعل مع محتوى جميع هذه الدوافع الإنسانية، فهي الأساس الذي بنيت عليه أركان الديانات في أول نشأتها وفي تمام نضجها. وحتى يكون الأمر أكثر وضوحا قسم (أسامة) مرحلة عبادة الإنسان البدائي للحيوانات إلى مرحلتين:

الأولى: التسليم بقدرتها القاهرة وعجزه وضعفه أمامها لذا قدست لذاتها.

الثانية: امتلاكها لقوى روحية تقف وراء قوتها وجبروتها وفيها تطور فكره الديني ولم يعد يعبدها لذاتها بل للقوى الكامنة فيها[13].

وهي مراحل قد يكون الفزاني القديم مر بها في طريق احترامه وإجلاله للثيران فجسد أفكاره هذه برسم ونقش مشاهد لها ذات طابع سحري كهنوتي Sacerdotal على صخور مرتفعاته قد يرتبط بأصلها الإلهي أو الطوطمي الذي يمثل الخطوة الأولى التي خطتها البشرية في طريق الدين؛ فالعنصر الحيواني من أهم وأقدم الأشكال التي سادت نقوش ورسوم ما قبل التاريخ وهيمنت تقريبا على الفن الصخري بفزان وأكثرها الأبقار والثيران الوحشية وهذه الأخيرة ارتبطت برموز عكست كونها حيوانات طوطمية ومنها الجلود حيث كان يضعها حول جسمه بما يعلق بها من دماء لاعتقاده أن ذلك يجلب له القوة؛ وكذا التنكر بارتداء أقنعة تماثل رؤوسها ربما لإطلاق سراح الوحش الذي بداخله؛ كما يتحلى بارتداء ذيولها ربما لطرد الأرواح الشريرة ولاكتساب مكانة مرموقة، ونظن بأن الوضع لا يختلف عن المرحلة الثانية؛ فمحتوى المشاهد يشير إلى توقير الثيران للربط بينها وبين الخلق وعملية البعث وتجديد الحياة بزرع النطفة (الماءSperm) في رحم الأنثى للخلق والحياة ،فالماء هو عنصر الحياة وهو ما أطلق عليه الروح الإلهية الخالقة والتي ربما اعتقد بحلولها في الثور فأضحت القوة الدافعة لعبادته، كما أن الرموز الحيوانية بهيئات بشرية أو نصف بشرية بفزان فسرت بأنها حلت بها طبيعة مزدوجة بشرية وأخرى إلهية مما يعد من طرف دليلا إضافيا على أن الثيران قدست لأجل الروح الإلهية التي تحتويها؛ ومن طرف آخر أن الفزاني القديم تبلور في ذهنه الاعتقاد أو المعتقد (بقدسية الثور) الذي يمثل أحد أركان الدين الأساسية؛ ومع ذلك يظل هذا السرد افتراضا ومن الصعب الجزم به، ولايمكن استبعاده بالجملة .

2 – ماهية الإله:

ليس من السهولة بمكان تحديد ماهية الإله الذي كان يعظم ويقدس بفزان بشكل مرضي للبعد الزمني الذي يصعب اختراق حجبه وندرة المصادر الكتابية؛ ومع ذلك سنحاول تسجيل جزء من التصور الأساسي له تعويلا على

---

[8] لايزال الإنسان يصنع تماثيل الجان أو الأرواح بما تمتلكه من قوة خارقة فوق الطبيعة على هيئة حيوانات بعضها برؤوس آدمية والبعض الآخر بشر بأجسام نصف حيوانية. ينظر: سعد الخادم: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بدون، ص19.

[9] جيمس فريزر: مرجع سابق، ص291؛ عبد المنعم أبوبكر: مرجع سابق، ص77؛ باسم عبد الحميد حمودى: "مقدمة في تاريخ السحر قديما وحديثا "، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث، بغداد، 1998، ص70.

[10] مصطفى الشورى: "صورة الثور الوحشي ودلالاته الرمزية في الشعر الجاهلي" حوليات كلية الآداب، المجلد الحادي والعشرون، بغداد، 1993 –1994، ص19.

[11] فابرتيشيوموري: مرجع سابق، ص212.

[12] نفسه: ص30 – ص31، ص35، ص 39 – ص 40.

[13] أسامة عدنان يحي: السحر والطب في الحضارات القديمة، دار أمواج للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2015، ص9–12.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

نقش الإله (قرزيل أو قورزلGurzil) [1] ببلدة قرزة ونقوش الثيران بمرتفعات الأكاكوس والمشاهد الإلهية الموازية لها في الحضارة الفرعونية.

و بهذا الصدد قد يمكن الجمع بين تدوين الشاعر اللاتيني (كوريبوسCorippus) حوالي القرن السادس للميلاد عن عبادة القبائل الليبية منها (لواتهLoatta) في منطقة سرت وطرابلس للإله الثور قورزل ابن الإله (أمون Amon) من البقرة الإلهة (ايزيسIsis)[2] الفرعونية[3]، وسرد (البكري) في القرن الحادي عشر للميلاد عن تقديم القبائل الليبية بجنوب طرابلس صلوات لصنم من الحجر وضع على قمة رابية يدعى (كورزا أو قرزا)[4]؛ فالتشابه يبدو جليا بين رسم قرزيل وقرزا ووحدة المكان في الروايتين مع وجود بلدة بين مدينة طرابلس وبلدة ودان تعرف باسم قرزة بها بقايا أعمدة معمارية ومناظر لأشكال وتماثيل بشرية لرجال ونساء غير محتشمة[5] أو بالتعبير المحلي (مسخوطة) مما يشير إلى انتشار طقوس دينية مرتبطة بالثور وظاهرة عبادة الخصوبةFertility، وقدُ مثل هذا الإله على هيئة أصنام حجرية وخشبية وكذا معدنية[6] ولعل عبادته وتقديسه كان لعدة غايات منها:

أ- طلب النصرة والحماية حيث كان كهنة ومقاتلو قبائل لواته القاطنة بالمنطقة يعدون قرزيل بمثابة قائدهم في الحرب يرسلونه إلى عدوهم قبل بدء القتال لإرهابهم؛ فهو بذلك إله الحرب [7].

ب-طلب الشفاء لمرضهم ودوابهم والبركة في أموالهم [8].

ت-كونه من نسل الإله آمون في سيوة عد إله للنبوءات Divination وكشف غيب المستقبل؛ وقد اشتهر الكاهن (جرنا أو برنا Jerna) اللواتي قيم الإله بقدرته على التبشير بالفأل الحسن[9]؛ فالكهنة في العموم لعبوا دورا بارزا في تعميق الإيمان بالآلهة لدى عامة الناس بسبب ادعائهم بقدرتهم على طرد الشياطين والأرواح الشريرة من جسم المريض بالتعاويذExorcisms والأناشيد الدينية.

وهناك من الأسباب ما يجعلنا نؤيد عبادته بين أغلب القبائل الليبية القديمة ومنها:

1- انتشاره الواسع بمناطق جنوب طرابلس إلى ما بعد بلدة أبو نجيم؛ كما وجدت مدينة تحمل اسم قرزة في الشمال الغربي من مدينة سوسة بإقليم قورينه؛ ولعل قبيلة (القوزاري) التي ذكرها (هيرودوت Herodotus) أو (قورزه) التي أوردها (بطليموسPtolemy) أو (قرزة) التي أشار إليها (بولبيوسPolpiose) هي امتداد لقبائل ومدن قدست وسميت باسم هذا الإله [10] (100)، وقد عثر في أحد المتاحف الإفريقية على رأس يظن بأنه للإله قرزيل على قاعدة مصباح روماني يعود للقرن الأول الميلادي [11] مما يقرأ منه وجود تأثير ثيولوجي(لاهوتي) Theological ليبي قديم بمناطق ما وراء الصحراء.

2- رصد تواجد العديد من المعابد الخاصة بعبادته؛ مثل: معبد بلدة قرزة [12]، لاجدال في أن بناء وإنشاء المعابد Templesالتي تدور حولها الحياة الروحانية لأفراد المجتمع كان لعبادة الإله وتكريمه؛ وهو يحتاج إلى وجود كهنة

---

(1) ربط بنقش وجد على صخرة يمثل ثورا ضخما متوج بأسطوانة شمسية بين قرنيه في (ماية ذيب) تبعد حوالي 30كم جنوبي بلدة مزدة بوادي مرسيط. ينظر: تشارلز دانيلز: الجرمنتيون، ترجمة: أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس الغرب، ط2، 1991، ص53-ص55.

(2) ربة السحر والخصوبة والميلاد؛ مُثلت في بعض الأحيان على هيئة امرأة ترتدي فوق رأسها قرص الشمس بين قرني ثور. للمزيد راجع: نهى محمود نايل: الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصرية القديمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم النقد والتذوق الفني، جامعة حلوان، القاهرة، 2003، ص74.

(3) اصطيفان اكسيل: تاريخ أفريقيا القديم، ج1، ترجمة: محمد التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،2007، ص197.

(4) محمد نجم وعباس إحسان: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968، ص36.

(5) محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، مرجع سابق، ص392.

(6) عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص241.

(7) اصطيفان اكسيل: مرجع سابق، ص116.

(8) جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 2004، ص 417.

(9) ديفيد ماتنقلي: منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة: محمد الطاهر الجراري و محمد عبد الهادي حيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2009، ص123.

(10) تشارلز دانيلز: مرجع سابق، ص53-ص55.

(11) Bates, op cit, pp.198.

(12) عبد الحفيظ فضيل المبار: الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2001، ص73.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

Priest وإقامة مجموعة معقدة من الطقوس الشعائرية والقرابين Sacrifice؛ مما يدلل على وجود مجتمع متدين على درجة عالية من التنظيم الكهنوتي.

وقد انقسم المؤرخون في جذور ثقافة عبادة الإله قورزل وتقديسه إلى فريقين:

الفريق الأول / يرى أنها ثقافة أصيلة ببلدة قرزة الحالية أساسا [13].

الفريق الثاني/ يظن أنها نتاج للتأثير الديني للحضارة الفرعونية على الثقافة الليبية القديمة [14].

في الواقع بالنسبة للرأي الأول فإننا نتفق معه في المجمل ولكننا نحدد بدقة أن مرتفعات الأكاكوس هي بؤرة هذه الثقافة ومنها تسربت إلى بقية الأقاليم المحيطة بها؛ يؤيد ذلك التدوين السابق حول أقدمية هذه الثقافة بفزان وسرد (بيتس) عن أقدمية عبادة الليبيين للإله قرزيل [1].

وبالعودة إلى الرأي الثاني فإننا نختلف معه أيضا ونظن بأن ثيران الأكاكوس وقرزيل هما الأصل البدائي للثيران المصرية المقدسة (أبيس – حاب – مر – أور) – السالف ذكرها – قد يناصر ذلك تشابه عدة عناصر ثقافية بينهما ومنها:

أ/ تظهر صورة ملوك الأسرة الفرعونية الأولى على هيئة ثيران رمزا للقوة الجسدية والمحارب الجلد في الحروب[2]؛ وبالمثل قد نستشف من القول بأن القبائل الليبية كانت تطلق ثيرانها تتقاتل فيما بينها قبل أن تبدأ الحرب[3] وجود ثقافة اختيار الثور القوي بين الثيران المتقاتلة ليكون إلهاً يعبد وللحرب.

ب/ مُثل الإلهان المصريان على هيئة ثورين بين قرنيهما قرص الشمس (لوحة:19)، (لوحة:20)[4] وسيرد اقتران قرزيل وثيران الأكاكوس بنجم الشمس، (لوحة: 21) (لوحة:22) لاحقا.

ج/ إن من سمات اختيار الإله أبيس أن يكون ذا لون أسود مرقط بدوائر بيضاء على جبهته وعنقه[5] وهو ما يذكرنا بالثور الفزاني الأسود المرقط بالأبيض ذو القدرة الإخصابية، كما وجدت ثيران بها علامات بيضاء ويعتقد ارتباطها بطقوس دينية.

د/ قدس الفراعنة العجلان أبيس – حاب – مر– اور تقديسا خاصا كونهما رمزا للقوة التناسلية الخالقة[6]؛ الأمر كذلك يطالعنا في مجموعة التماثيل البشرية غير المحتشمة ببلدة قرزة وقد أوردنا سابقا نقوش ورسوم ثيران الأكاكوس وامساك ازطافت ذات القدرة الإخصابية وتعود لفترة الرؤوس المستديرة.

هـ/ ظهر أبيس كرمز للإله الأعظم ثم تحول إلى إله للكشف عن علم الغيب والمستقبل لمن يستشيره من المصريين القدماء[7]؛ الوضع الذي نلاحظه عند الكاهن جرنا السابق ذكره، فقد نظر إلى الكهنة دائما نظرة تأليه ورهبة.

و/ عُبد الإله أبيس في الحضارة المصرية داخل حجرات المعابد[8]؛ وبالمثل قُدس قرزيل بالمعابد حيث وجد بعضها بمدينة طرابلس تحت إشراف قبيلة (اليقطاق!) وفي بلدة أبو نجيم [9].

ز/ ضمن الهيئات التي ظهر فيها الإله أبيس ثور يحمل هلالا على ظهره أو بقرة تخصب بواسطة ضوء القمر[10]؛ وهي الثقافة التي سردنا أسبقيتها بمرتفعات الأكاكوس والتاسيلي.

---

(13) عبد الهادي محمد البكر: حضارات وممالك قارة أفريقيا، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2011، ص115.

(14) باول جراتسيوسي: مرجع سابق، ص40.

(1) Bates, op cit, pp.205

(2) سمير أديب: مرجع سابق، ص33.

(3) محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج 3، مرجع سابق، ص306–ص307.

(4) جورج بوزنر وآخرون: مرجع سابق، ص10.

(5) فراس السواح: لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ط8، 2002، ص275.

(6) ول ديورانت: مرجع سابق، 183.

(7) سيد عبد الكريم: مرجع سابق، ص71.

(8) جيمس فريزر: مرجع سابق، ص476–ص477.

(9) محمد بن مسعود: في طرابلس وتونس، مطبعة ماجي، طرابلس الغرب، 1953، ص41؛ عبد الحفيظ فضيل الميار: مرجع سابق، ص71– ص72.

(10) فراس سواح: مرجع سابق، ص275.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ح/ عد الإله أبيس معبودا في جميع أنحاء مصر القديمة تقام له الاحتفالات في المعابد [11] ؛ وبالمثل ذكر سالفا الانتشار الواسع لعبادة الإله قرزيل بين القبائل الليبية القديمة.

ط/ لم يقدس المصري القديم جميع الحيوانات من نفس النوع وإنما يفرز واحدًا منها يتميز بسمات معينة، يصنع له تماثيل من الصلصال أو الخشب كذا من الحجر والمعدن [12] ، الأمر الذي أوجده الليبي القديم.

على هذا من البين أن العناصر الثقافية الخاصة بالثيران في الحضارتين تبدو قليلة من حيث القيمة العددية إلا أنها ذات أهمية عالية من حيث المفاهيم العامة للعبادة؛ فتشابه المحتوى الثقافي من الصعب أن يكون صدفة أو توافق أفكار؛ وبالتالي فإن الظن بأسبقية الثور الفزاني وأصالته أكبر من أن يرفض وتشكل في الوقت ذاته أرضية صلبة – إلى حد ما – لمحاولة وضع رؤية متماسكة لماهية الإله الثور الفزاني القديم.

فمن أهم خصائص الإلهين قرزيل وأبيس أنهما ثوران يحملان بين قرنيهما قرص الشمس عُدا إلهين للحرب والتناسل؛ وينظم معابدهما كهنة كوسطاء بين الإله المخفي ومريديه من المتعبدين ليحقق لهم البركة في رزقهم والعافية لحيواناتهم فضلا عن قراءة ومعرفة غيبهم وهي خصائص قد نرصد أصلها الخرافي والأسطوري بمرتفعات الأكاكوس؛ فبالنسبة إلى قرص الشمس عثر بوادي ايكي (Ekki) على ثور بين قرنيه قرص يشبه شمسا صغيرة مشعة أصيب بسهم فأطرق رأسه أمام شكل بشري يعود للدور الرعوي القديم؛ صحيح أن (موري) أدرجه ضمن قائمة الحيوانات المؤهلة Sacred Animals للتدجين[13] إلا أننا ندعي أن له صلة قرابة بالحيوانات المؤلهة المتوجة بكوكب سماوي أو ربما أعد لتقديمه أضحية أو قرباناً لها، فالبحث عن الطريدة التي ترتقي لشرف التجسيد الديني ليس نادرا في الثقافة البدائية؛ أما عن خاصية كونه إلها للحرب فضمن المحيط الجغرافي لثور ايكي تحديدا بوادي تشوينيت (Teshuinit) وجدت لوحة لثور تعود للدور الرعوي القديم (لوحة:23) [14] ربما يفهم من العناية في اختيار مكان الرسم والجهد المبذول في رسمه الغرض الديني له؛ و قد تميز عن بقية أقرانه المرسومة على الجدران الحائطية بأنه :

أ/ رسم في مكان منفرد ومرتفع تبدو قرناه على شكل كوكبة القيثارة تذكرنا بالأشكال المرسومة في المعابد المصرية.

ب/اتسم بالجمال والقوة مما يقربه من كونه إله للقوة الجسدية والحرب ربما يعود ظهوره لفترة الصراع والحرب بين التشكيلات القبلية على أراضي الصيد والرعي كما يلاحظ من رسوم الأكاكوس.

ج/ صبغ لونه بالسواد مما يحيلنا إلى صفات الإله أبيس – السالف ذكره – فرغبة الرعاة الملحة في تزايد أعداد الحيوانات دفعتهم إلى تقديس القوة الذكرية التناسلية الإنسانية فربطوهما بحيوانات ذات قوة إخصابيه مثل الثيران فجسدوا هذا الاعتقاد في مشاهد النقوش الصخرية. من الواضح أن السرد أعلاه يؤكد على الخاصية الحربية والتناسلية في ماهية إله ثيران الأكاكوس؛ أما فيما يتعلق بكون الكهنة وسطاء بين الإله المخفي ومريديه واحتمال أن يكون الثور محلا للعبادة المحضة ثم أضحى حاوية أو حاملا للإله المجرد قد يستشف من عدة مناظر عامة بالأكاكوس؛ فقد عثر في منطقة(رهينو Rhino) بعرق امزيتن Emziten بفزان على لوحة تحوي مصليا جالسا رافعا يديه مقابل حيوان وحيد القرن[1] قرأ منه تجسيم الفزاني القديم للإله وتقديسه للحيوان في حد ذاته أو لعل المصلين اعتبروا أن القدرة الإلهية متجلية فيه وليس باعتباره حيوان فحسب؛ كما أن العثور علي كائنات بشرية برؤوس وحيد القرن يؤيد البعد الديني لها [2] في الاتجاه ذاته يلاحظ استخدام المجتمع البدائيPrimitive society الفزاني عدة ألوان مثل: الأبيض و الأصفر و الأسود اقترنت بالأشكال المرتبطة بالسحر، فاللون الأسود في لوحة ثور وادي تشوينيت السابقة قد يوازي منظر بـ (تين تافريستTin–teferist) بالتاسيلي يحوي دراع إنسان لونت باللون الأبيض والأسود؛ فسر الموضوع بأنه تعبير عن السحرMagic وحماية الحيوانات أو الاستحواذ عليها؛ يقربها من المشاهد الروحانية الإستحواذية أو الأسطورية بالأكاكوس [3] ؛ بهذا الصدد تطلعنا لوحة في (انشالAnshal) بالأكاكوس تعود لدور الرؤوس المستديرة (لوحة:24)

---

(11) نفسه: الصفحة ذاتها.

(12) إبراهيم رزقانه وآخرون: حضارة مصر والشرق الأدنى القديم، القاهرة، بدون، ص81.

(13) فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص126.

(14) نفسه: ص212.

(1) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص160.

(2) نفسه: الصفحة ذاتها.

(3) بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص200.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

تظهر شكلا كبير الحجم خالٍ من الملامح البشرية لُون باللونين الأبيض والأصفر بجانبه امرأة أقل حجما صبغت باللون الأحمر وزينت الرقبة والأدرع ...الخ بنقط صغيرة وشرائط بيضاء على الرأس وتبدو في خضوع تنحني قليلا إلى الأمام رافعة اليد اليمنى وترفع رأسها باتجاه الشكل الكبير في وضعية المصلي [4]؛ الأمر الذي قد يقرأ منه اتجاهين :

الأول/ أن الفزاني القديم جسد آلهته على هيئة بشرية هو ما يتوافق مع القول بأن الآلهة كانوا في الماضي العتيق ملوكا أو أبطالا بارزين بين الناس ولهم مكانة خاصة في حياتهم فقدسوهم بعد مماتهم، فقامة الشخوص الطويلة تسمح بالظن أنها تمثل إلها أو على الأقل أميرا يرقى إلى مصاف الأبطال أو ربما عد وسيطا يتوسل به أو شفيعا يتشفع به عند إله أعلى منه.

الثاني/ آمن بوجود إله يتوجه له، فرفع اليدين استرحاما وتضرعا يعبر عن انطواء القلب للمعبود واللجوء إليه في الشدة والرخاء؛ فاللون الأبيض بالأصفر ارتبط دائما في رسوم الصحراء بتجسيد الآلهة والكائنات الأسطورية[5] ومنها كما ذكر سالفا الثيران.

على ذلك لعل الفزاني القديم قدس الثور كونه حاملا للإله غير المرئي على الأرض فهو الوسيط بين الإله والناس لذلك لم يسمى الحيوان المقدس كباقي الحيوانات من جنسه بل ظهرت له أسماء أخرى تنم عن طبيعته الجديدة كحيوان مبجل مميز بين أقرانه وهو قرزيل الذي يفترض بتقديسه مند عصور موغلة في القدم فلعله امتداد لإحدى الثيران المقدسة بمرتفعات الأكاكوس خلال دور الرؤوس المستديرة.

من البين أن الفزاني مَثل آلهته أو معتقده بعبادة الثيران على جوانب صخور مرتفعاته ومع ذلك لابد من القول بأنا نجهل –بكل أسف–الكثير حول ميتولوجية الثور الإلهي بالأكاكوس ودوره في عقيدة المجتمع لأن توافره في النقوش والرسوم يؤكد أهميته ووظيفته الدينية؛ وفي الوقت نفسه غنى وتعقد الأيدولوجيا Ideology الدينية لمجتمع الصيادين والرعاة بفزان.

3–التجليات والدلالات:

اعتقد الإنسان البدائي منذ البدائية أن الكائنات الحية ومنها الحيوانات تمثل رموزا بسيطة للقوى الكونية الكبرى ومنها:

أ– نجم القمر: أول جرم أحاطه بنوع من الرهبة بمنظور الفكر الأسطوري فاقترن ذهنه بالطابع السحري فقدسه وألّهه وعبر عن ذلك بهيئة قرني حيوان ثم اتخذ من شكل قرني الثور دلالة ورمزا لهذا الإله[6] (لوحة:25) ،(لوحة:26) [7] ؛الأمر الذي يعبر عن ميل الإنسان القديم إلى التجسيم أكثر من ميله إلى التجريد العام، إعادة تحليل وتفسير هذه التجربة الوجدانية للإنسان القديم قد يتأتى من الغوص في ميتولوجية الإنسان الليبي القديم، فقد حاول أن يربط بين الأرض وقوى الفضاء التي تعذر عليه فهم ماهيتها فتفتقت ذهنيته بأن جعل الثور إلها أو رمزا أرضيا للقمر السماوي يعود ذلك إلى:

1/ امتلاكه قرنين يشبهان الهلال، فانحناء القرنين متناسب ومتناغم بشكل كبير مع دوران القمر.

2/ كونه رمزا للمذكر والخصوبة التناسلية في الطبيعة[8].

3/ الخاصية الهجومية والدفاعية لقرنيه[9].

في الواقع لاشك في أن للرمز علاقة بالفكرة التي يعبر عنها وهي علاقة سببية حيث أن الفكرة هي السبب في وجود الرمز في حد ذاته وليس له مدلول إن لم يكن هناك خلفية شائعة لمفهوم هذا الرمز بما أن اختيار طبيعة الرمز هو نتيجة تأثير البيئة على الحضارة ،فقد قامت أفكار الفزاني على ما يتراءى له في بيئته الطبيعية معبرا عن مفاهيمه الدينية فقد أضحت تلك القرون تشير وترمز للضوء ومنبع للقوة والنور على الأرض نظرا للتماثل بينه وبين

---

[4] فابرتيشيو موري: مرجع سابق ص173.

[5] نفسه: ص45.

[6] اتخذ قرنا الثور كرمز للحرف الأول للأبجدية التي عمت العالم القديم كما في ثقافة سكان الشمال الإفريقي خلال القرن السادس قبل الميلاد. راجع: محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، مرجع سابق، ص305.

[7] سعد الخادم: مرجع سابق، ص65.

[8] فراس السواح: مرجع سابق، ص83.

[9] كحيل البشير عطية: مرجع سابق، ص4 – ص5.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

الهلال وعلى هذا أصبح كل من الآلهة والأجرام السماوية والحيوانات ذات القرون ومنها الثور تشكل ثالوثا رمزيا فيما قبل التاريخ [10]؛ يعزز ذلك أن مجموع القرون الشعائرية التي عثر عليها بليبيا تعبر في معظم حالاتها عن برج من الأبراج السماوية (الشمس– القمر) أو الثور بوجه عام[11]. ربط مشاهد قرون الثور كرمز لمدلول الهلال وارتباطها بمفاهيم الخصوبة والتكاثر للحيوان والإنسان على حد سواء في ميتولوجية مجتمع الأكاكوس ومحيطها يستشف من مضمون لوحة السيدة البيضاء بالتاسيلي – السابق ذكرها – والذي يهمنا أنه يظهر فيها امرأة مقنعة يعلو رأسها قرنين كبيري الحجم من المحتمل أنها تمثل هلالا؛ و يتساقط من رأسها ما يشابه نقاطا على أعلى الجسم من الكتفين والصدر ؛ و يظن بأنها حبوب للحنطة و المرأة ربة أو كاهنة للزارعة والخصب[12]، يقودنا ذلك إلى أن القمر أو الهلال(قرني الثور) مسؤول عن خصوبة الأرض؛ كما صورت أساطير الحضارات القديمة القمر برجل ذكر [1] والأمر كذلك في ثقافة الليبي القديم حيث يعرف بـ (عجوز –أيور Ayore)[2]، كما عثر بفزان على رسم بشري مذكر يزين رأسه قرص أو هلال[3].

مزيدا من الشواهد على كون قرون الثور إحدى تجليات عبادة القمر أو الهلال بمجتمع فزان قد يستنبط من التدوين الحضاري للمصريين القدماء؛ فالرمز القمري للإله أوزيريس[4] مؤسس الديانة الأولى بمصر ومعلم الإنسانية لعبادة الآلهة كان يتحلى بقرون رأس ثور ويتجسد في الثور المقدس أبيس وروحه الحية على الأرض[5]، حيث نجد أن الإله أوزيريس ينادي العديد من الباحثين بجذوره الفزانية بعد العثور على رسم مشابه له بعين هابيتر بإمساك ازطافت يعود للدور الرعوي القديم (لوحتين: 27– 28)[6]؛ كما أن الهلال الذي على هيئة قرن ثور أو قمر أو قرص شمس تعد أهم الزخارف التي تحلي رموز الإلهة المصرية (حتحور Hathore)[7] (لوحة:29) والتي يظن أيضا بجذورها الصحراوية استنادا على رسم مشابه لها ويعود لفترة الرؤوس المستديرة[8]؛ كما أن الباحث (ليوفروبيوس L. Frobenius) الذي درس نقوش فزان دراسة مستفيضة يقر بأن العديد من التقاليد الثقافية لمجتمع الأكاكوس تشير إلى أن الثور شكل إحدى مدلولات رمز القمر[9]؛ قد يمكن رصد إحدى هذه التقاليد من الربط بين الوظيفة السحرية والدينية لنور القمر وكون الثور أبيس ولد من بقرة أخصبها ذلك النور وأهميته في الثقافة الليبية؛ فقد كانوا يسكبون الماء في إناء مسطح و يعرضونه لنور القمر الساطع ثم يؤخذ للقيام بعمليات سحرية، ويظنون بأن الإنسان إذا ما تطلع إلى نوره يشفى من مرضه؛ كما يلقون ببعض الأعشاب الخضراء على القمر قائلين: " نرميك بشيء أخضر فأحفظنا من الحسد و السوء"[10].

على هذا يبدو أن الثور أضحى حيوانا مؤلها في عقلية سكان مرتفعات الأكاكوس والتاسيلي استمد هذا التأليه من شعائر تقديس نجم القمر، وكان لأوجه التماثل الكامن في الهلال وقرني الثور دورا في ذلك، فقد مزجت بالفعل الطبيعة الحيوانية (الثيران وقرونها) مع الطبيعة الكونية (جرم القمر) وانعكس ذلك على ثقافتهم المجتمعية.

---

[10] سكوت وندرات وفابري: مرجع سابق، ص105–ص106.

[11] فرج الراشدي: " عادات الدفن عند الجرامنت وعلاقتها بعادات الدفن عند شعوب أخرى في شمال أفريقيا "، ليبيا القديمة، اليونسكو، 1984، ص100.

[12] فائز أنور عبد المطلب: الفن الصخري في إقليم فزان في مرحلة الصيد والرؤوس المستديرة، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2014، ص149–ص150.

[1] ول ديورانت: مرجع سابق، ص55.

[2] Bates, op cit, p.191

[3] إسماعيل المبروك خليفة: القيم الفنية والتقنية للفن الصخري في جبال أكاكوس ووادي برجوج، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الفنون الجميلة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس الغرب، 2006، ص311.

[4] أعظم الآلهة الفرعونية القديمة؛ امتد تقديسه وعبادته نحو ألفي عام؛ وهو إله القمر والممثل لخصوبة الأرض والنبات وسيد الأبدية ورب الموتى والعالم الآخر والخلود والبعث، ويظن بأنه كان ملك بشري يحكم الأرض قبل أن يقتله أخوه ست. للمزيد ينظر: جورج بوزنر وآخرون: مرجع سابق، ص72–ص73.

[5] برت أم هرو: كتاب الموتى الفرعوني، عن بردية أني بالمتحف البريطاني، ترجمة: فيليب عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص252، ص275.

[6] واليس بدج: السحر في مصر القديمة، ترجمة: عبد الهادي عبد الرحمن، سينا للنشر، 1998، ص62.

[7] ربة مصرية تعود لعصر ما قبل الأسرات؛ صُورت على شكل امرأة بأذني بقرة أو بقرة كاملة وأحيانا امرأة تضع على رأسها قرنين كبيرين وترتدي تاجا مع قرص شمس وريشتين. راجع: نادية محمد: مرجع سابق، ص98.

[8] أحمد عبد الحليم دراز: تاريخ وحضارة شمال أفريقيا، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2010، ص233–234.

[9] بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص191.

[10] عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص156–ص157.

ب – نجم الشمس: تشكل الشمس إحدى ركائز نشأة الكون بداية الخليقة في ميتولوجية الكثير من الشعوب البدائية[11]، ارتبط جزء من ثقافة إجلالها وتوقيرها إلى أن حرارتها هي السبب فيما تقدمه الأرض لهم من خيرات[12] وهذا الظن يجمع بين عبادة الشمس ومحتوى ثقافة الخصوبة، ولعل الليبيين القدماء كانوا ضمن مضمون هذه الحضارة؛ يناصر ذلك التدوين السابق حول الاعتقاد بالقوة الإخصابية لثيران الأكاكوس والارتباط المحتمل بين الإله قرزيل ومناظر الخصوبة ببلدة قرزة مع الإله أبيس؛ وجمع (بيتس) بين تقديس الليبيين القدماء للشمس والثور معللا الأمر بقوة الشمس وروعتها كجرم كوني من ناحية و قوة و صلابة الثور مع جماله من ناحية أخرى[13] فالثور دائما يعالج الظلمة ويبحث عن الشمس.

مما يشير إلى أن عبادته لها ترجع إلى محاولة الجمع بين الحياة على الأرض والقوة السماوية بعد أن عجز عن معرفة كينونتها وتأكيدا للعلاقة القائمة بين آلهة السماء وما يجسمها ويماثلها على الأرض من حيوانات مقدسة مثل الثور كونه تجلي من تجليات عبادة الشمس عند الليبيين القدماء؛ يُجليه الربط بين سرد (سعد) بأن الشمس المقدسة تصور عادة على شكل دائرة كبيرة أو ما يشابهها و بداخلها نقطة و أحيانا أخرى بدائرة مشعة[14]؛ وهذه الأخيرة رصدت بين قرني ثور في لوحة فنية بوادي ايكي – سبق ذكرها – كما عثر في امساك ازطافت على لوحة حجرية تعود لعصر الصيد مثبتة في الأرض وموضوعة في وضع عمودي؛ محتوى الموضوع نقش لحيوان فرس النهر يصعب رؤية بعض أعضائه لتآكل اللوحة؛ و يظن بقدسيتها لأنها موضوعة بعناية في موضع محكم ومنعزلة بعيدة عن ضوء الشمس، ليس من الصعب تأويل المنظر فهو يوحي بوجود علاقة افتراضية بين طائفتي العبادة الشمسية والحيوانية[15]، وقد يمكن الاستعانة في تأكيد العلاقة بين قرني الثور والشمس في الثقافة الفزانية بمحتوى الحضارة المصرية القديمة والارتباط الثقافي بينهما من قراءة تدوين (محمد) لمحتوى رسم بقرة يعلو رأسها قرص للشمس عثر عليه في إحدى أودية فزان[16] يماثل الوضعية التي مثلت بها أحيانا الإلهة إيزيس و هي متحلية بقرص الشمس (لوحة :30) [17] ؛كما تذكر أساطير السانAssan – الذين هم جزء من سكان الصحراء الوسطى – بأن الشمس انزعجت من حمل الحمار الوحشي لها على ظهره فهجرته لتستقر بين قرني الثور؛ يربط (جوزيف كي Josef Key) بين هذه الأسطورة و جذور رسوم الإلهة حتحور بهضبة التاسيلي–السالف ذكرها– [18] وهو افتراض يتوافق مع قراءة (عبدالمنعم) لرسوم الثيران و بين قرنيها قرص الشمس بأنها انبثقت من الصحراء الوسطى قبل ظهور رمز الإلهة حتحور بزمن بعيد [19] ؛ وفي الآن ذاته قد يدل تنوع الحيوانات بمرتفعات الأكاكوس ومتخندوش Matkhenduche و الهاروج السود التي تحمل حلية دماغية (قرص الشمس أو القمر) على رأسها وهي منحوتة بطريقة التنقيط؛ مثل: الفيلة، الزراف، فرس النهر، الايائل، الخراتيت، الأبقار، الثيران...الخ وتعود لفترة الصيد والرؤوس المستديرة على أن القرون ومنها قرون الثور شكلت إحدى رموز تقديس جرم الشمس وأصالة هذه الثقافة بالمجتمع الليبي القديم[1] كما نعتقد باستمراريتها؛ خيارا يضعنا أمام واقعين:

الأول / تشكيك (تشارلزدانيلز Charles Danilse) في استمرار تقديس المجتمع الجرمي (500ق.م–500م) بفزان للثيران بعد تحليله لبنائهم الديني[2] افتراضا قد يحتاج إلى مزيد من التمحيص اتكاء على:

---

[11] محمد الصغير غانم: المظاهرة الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج1، مرجع سابق، ص 321.

[12] ول ديورانت: مرجع سابق، ص56.

[13] Bates, op cit, p.205

[14] سعد الخادم: مرجع سابق، ص65.

[15] فائز أنور عبد المطلب: مرجع سابق، ص84.

[16] أحمد عبد الحليم دراز: مرجع سابق، ص210.

[17] نهى محمود نائل: مرجع سابق، ص34.

[18] ج. كي. زيربو: مرجع سابق، ص682.

[19] حمدي عباس أحمد: مرجع سابق، ص237.

[1] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص219.

[2] تشارلز دانيلز: مرجع سابق، ص53.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

أ- أن أساليب جزء من الفن الصخري بوادي الآجال حيث الاستقرار المكثف للجرميين مطابق لنقوش ورسوم الأكاكوس والتاسيلي رغم الفارق الزمني، مما يؤيد استمرار استيطان مجموعات بشرية في المنطقة تحمل ثقافة تقديس الحيوانات ومنها الثيران؛ فقد عثر على رسوم لثيران مبالغ في طول قرونها بجرمة ومحيطها إحداها لرجل مقنع برأس ثور[3].

ب- العثور بجرمة ومحيطها على تماثيل صغيرة من الطين (الصلصال) لأشكال حيوانية تعود للفترة الجرمية أحدها احتمال أنه يشابه الإله أبيس – السالف ذكره – مما يعزز استمرار عبادة الثيران[4].

ت- وجدت مسلات Obelisks[5] في المقابر الملكية بجرمة تأخذ شكل حرف (V) والهلال المرتبط بعبادة الثيران والأبقار تعود للقرون الأولى للميلاد.

ث- تدوين (سالم) عن تشابه في العديد من العناصر الثقافية الدينية بين الحضارتين (المصرية القديمة والجرمية) ولعل منها الثيران[6].

ج- امتدادًا للتشكيك في مصداقية اعتقاد (تشارلز) نعيد إلى الذاكرة الميتولوجيات المصاغة حول القرون بالموروث الشعبي لمجتمع فزان؛ ونبدأ من تدوين (عبدالقادر) عن وضع الطوارق للقرون حول سواعد أيديهم وقلائد حول رقابهم[7] ؛ثم سرد (هلموتHelmout) عن تعليقها (القرون) على الأبواب ببلدة غدامس[8] ،كما صاغها الصائغون من الذهب والفضة والنحاس وكذا المرجان والعظام، ونسجها النساجون على البسط، وزينت بها النساء المفارش وأغلفة الوسائد وكذلك زينت بها الأم وليدها كتميمة وحجاب ضد السحر والحسد وكذا العين الشريرة[9] القاتلة [10]؛ يذكرنا بالسرد السالف حول مضمون القرون في ثقافة مبدعي الرسوم و النقوش بمرتفعات الأكاكوس والتاسيلي فلا جدال في أن الفعل الإنساني في مضمون أقدم مظاهر ثقافته يحمل قيمة مقدسة.

على كل من البين أن استنتاج تشارلز قائم على الافتراض لا غير.

الثاني/ أنها عبادة وطنية، يؤسس لذلك الانتشار الواسع لرسوم الثيران التي تحمل بين قرنيها قرص الشمس.

ثالثا / طقوس العبادة والتقديس:

إحدى العناصر الأساسية في تكوين الدين، ففي ظل الإيمان بالمعتقد كان لابد من تمثيله بطقس يحاكيه، فهو الجسر بين الإيمان والعمل، فالطقوس في مضمون ثقافة مجتمع فزان القديم ليست غائبة؛ بل نستشعر بها من رسوم ونقوش البشر المقنعين والرقصات والاحتفالات الدينية وكذا الحيوانات الطوطمية؛ فتواجد هذه الموضوعات مجتمعة ليس صدفة.

مر بنا سالفا اعتقاد الإنسان القديم بأن الحيوانات تمثل رموزا للأجرام الكونية وهي أول ما قدسه فكان يتوسل إليها عن طريق الصلاة و الرقص الإلهي و كذا الزيارة و تقديم الندور...الخ و يسترضيها بواسطة الأضاحيSacrifices أو القرابين[11] وهذه الأخيرة كانت ضمن طقوس عبادة الثور ليس كحيوان مقدس بل لكونه حيوان أضحية؛ حيث كانوا يختارون ثورا معينا ليكون موضوعا للقربان أو أضحية للإله، حيث يفقد الحيوان المهيأ للموت مع الإله خصائصه الحيوانية ويغدو جزء من الإله نفسه سعياً للتوحد معه؛ إذ يأتون به حيا ثم يقتلونه ويمزقونه قطعا صغيرة ويأكلونها

---

[3] Mattingly. D, et al.op.cit. p.300

[4] Mattingly. D, et al., op.cit, p.358.

[5] قائم من الحجر ترسل الشمس المشرقة أشعتها عليه. ينظر: جورج بوزنر وآخرون: مرجع سابق، ص306.

[6] سالم محمد عبد الله: مرجع سابق، ص46، ص56.

[7] عبد القادر الجامي: من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة: محمد الأسطى، دار المصراتي، طرابلس الغرب، 1974، ص170.

[8] هلموت كانتر: مرجع سابق، ص137.

[9] درج الإنسان البدائي على حفظ أسحار الصيد الشريرة في قرون الثور؛ وليس بعيدا عن هذا السياق يظن بأن التحنو هم أول من استخدم الإشارة على هيئة القرن كتعبير عن طرد عين الحسد، وهي تعمل بإبهام اليد أو الأصابع الأمامية أو بالإبهام والخنصر. للمزيد ينظر: رايموند فيرث: الأنماط البشرية، مدخل لدراسة علم الإنسان الاجتماعي، ترجمة: صبحي فنوص، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1989، ص119؛ بن السعدي سليمان: علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قسم التاريخ، جامعة منتوري، الجزائر ،2009، ص96.

[10] يوسف عمر الغزال: ليبيا ملتقى المشرق والمغرب، دار المصراتي، طرابلس الغرب، 1999، ص123.

[11] الأضحية: وسيلة لتحقيق الاتصال بين المتدين والمقدس؛ وهي ارتباط يستهدف أن يفدي الإنسان ذاته ليتطهر فيحقق بذلك نوع من الرحمة والعاطفة الدينية بين المعطي والمتلقي بواسطة هذا القربان. ينظر: محمد الجوهري: مرجع سابق: ص76.

ليكون جزء من أجسامهم بهدف اكتساب القداسة والقوة التي حلت به مما يمكنهم من الاطلاع على روح الإله ومعرفة إرادته[12].

وعلى ذلك فإن السؤال الماثل: هل مارس الفزاني البدائي هذه الشعيرة ضمن طقوس عبادة الثيران كونه حيواناً مُعدًا كقربان للإله؟ فهناك عدة مناظر متشابهة رصدت في وادي متخندوش و (وادي زردة Zerda) و وادي (اساغانIsaghan) و(العفراء) بالأكاكوس وكذا في منطقة (تراشوريTrashori) و (صفار) ووادي افارا Wadi Afara–الذي يوجد قسم منه بالأكاكوس– بالتاسيلي يصعب التمييز فيها بين كون الحيوان مُعداً للتضحية به أو أن المشهد يعبر عن عبادة الحيوان؛ ونفرز منها:

لوحتين بمضمون واحد بوادي صفار والعفراء تعودان لفترة الرؤوس المستديرة (لوحة:31) تحويان ثورا يحيط به حوالي ثلاثين شخصا وهم في أوضاع حركية شديدة وبعض الشخصيات النسائية تلمس الثور من جبهته وأخريات من ذيله وبطنه ورجل يمسك الثور من أقدامه الخلفية بينما يجره آخر حاملا فأسا، وأشخاصا يقفزون فوق ظهره؛ والثور يقف في هدوء شديد مع هذا الحشد من الأشخاص الذين يتحركون جميعا حوله [1] ؛ فهذا الموضوع قد يقرأ منه:

أ- طقوس للتلقين وعبادة للماشية (الأبقاروالثيران) واقترانهما بالخصوبة.

ب- تمكين الإنسان من السيطرة على الحيوانات والتحكم فيها وتقديمها ذبيحة في طقوس عبادة للثيران.

وبهذا الصدد تذكر(العقون) أن الثيران بالمغرب القديم كانت مقدسة ثم أضحت قرابين مرموقة [2]؛ الأمر الذي يتفق معه الباحث، فالثور يظهر بحجم كبير قياسا بمحيطه من الأشكال الإنسانية؛ صحيح أنها تبدو وكأنها تتوسل وتصلي أمام إله، إلا أن السرد السابق عن الثيران يكسب ثور اللوحة طابعا مقدسا يرتبط بأصله الإلهي وبالقوى الباطنية المودعة فيه مما يقربه من كونه قربان ذو سمات مميزة تليق بقيمة الإله المقدمة له، يؤازر ذلك الشخص الذي يحمل فأسا ويهاجمه؛ ويستأنس الباحث بمعلومة شفهية عن إحدى عادات أفراد قبائل (ورشفانة) الليبية أنهم إذا ما أرادوا ذبح ثور هجموا عليه جماعة كُل بما يملك من فأس أو سكين... إلخ[3] بشكل يكاد يكون مطابقا لمحتوى اللوحة (131)؛ ولا حاجة للتذكير بأن المخبر لم يطلع على المنظر.

واستمرارا في تتبع شعائر تقديم الثيران كأضحية مقدسة عند الليبيين القدماء يستنبط من تدوين (سمير) لمضمون أساطير قبائل الفلاتة أو الأحفورات البشرية الحية Fossil man [4] حول صدور أمر إلهي بخلق الحيوانات ويقوم المخلوق الطيني (الإنسان) على رعايتها بزراعة الأرض ومنحها المحصول لتكون قرابين تقدم للآلهة في المعابد[5]؛ ولعل المغزى الميتولوجي الذي تحويه هذه الأسطورة يتمحور حول إيجاد مادة فكرية تحاول سد الفراغ الذهني لدى الليبي القديم بخصوص الهدف الجوهري من فكرة تقديم الأضحية؛ مصداقية هذا السرد يجليه إفادة (هيرودوت) النصية بأن الليبيين القدماء كانوا يقدمون القرابين للإله (بوسيدونPosedon) الليبي الأصل[6]؛ وفي الآن ذاته طلب هذا الإله من الملك (مينوسMinose) –حاكم جزيرة كريت ويظن أيضا بجذوره الليبية – أن يقدم الثيران كقرابين و أضاحي[7]؛ من الواضح أن الليبيين درجوا على تقديم الثيران كقرابين؛ ونعزز ذلك بالجمع بين كون الثور حيوان مؤله استقى تألهه من طقوس عبادة القمر والشمس وسرد (هيرودوت)عن شعيرة أو طقس تقديم الليبيين القدماء قرابين للشمس و القمر وذلك بقطع أذن الأضحية وإلقائها فوق سطح المنزل ثم يديرون رقبتها إلى الخلف ويذبحونها[8]؛ لا جدل في أن هذا السرد زاد من معرفتنا عن طبيعة وغايات الشعائر الطقوسية المقدمة للآلهة السماوية العليا وتضعنا أمام مسارين:

---

[12] فراس سواح: مرجع سابق، ص403.

[1] سعد عبد المنعم بركة: الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الانثربولوجيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1993، ص317؛ بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص157، ص186، ص191.

[2] عقون محمد العربي: مرجع سابق، ص241.

[3] مقابلة مع الباحث علي أبوبكر القايدي، 2020.

[4] مصطلح أو لقب قد يمكن إطلاقه على قبائل الفلاته بناء على بعض الأنماط السلوكية الحالية لهذه القبائل لحفاظها على عاداتها وتقاليدها وأفكارها الدينية والتي يمتد بعضها إلى مبدعي نقوش ورسوم مرتفعات الصحراء الوسطى خلال دور الرؤوس المستديرة. ملاحظات الباحث.

[5] سمير الصيد: أصل العائلة العربية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص41.

[6] هيرودوت: الكتاب الثاني، ترجمة: محمد المبروك الذويب، التاريخ الليبي القديم، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2006، ف50.

[7] ريشاتي: مرجع سابق، ص220.

[8] هيرودوت: الكتاب الرابع، مرجع سابق، ف188.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

الأول / أن تكون جل الحيوانات المضحى بها في الطقوس من ذوات القرون كالثيران والكباش، ويستأنس الباحث باستمرار هذا الشعيرة بواحات فزان إلى عهد قريب مما يشير إلى عمق الطابع المحلي لها.

الثاني / أن الإنسان البدائي حرص على ممارسة شعيرة الأكل من لحم الأضحية ظنا منه بانتقال قوتها إليه، وهو طقس قد نلاحظ امتدادا له في ثقافة المجتمع الفزاني القديم؛ فقد حرصت قبائل الطوارق على تكسير عظام الأضاحي ووضعها في طعامهم ثم أكلها[9] ،وضمن الإطار الثقافي ذاته نجد أن من معبودات قبائل (سغ Segh) –الذين من ضمنهم قبائل الفلاتة ببلاد غانا – الحيوانات؛ و كانوا يذبحون كل عام إنسان وثور أبيض أو أسود أو أحمر ثم يخلطونه بلحم كلب ويأكلونه؛ وفي الآن ذاته ارتباط الكلب بالثور له ما يماثله في نجوم السماء[10]؛ عليه لعل الأمر في الشاهدين كان بهدف إكساب أبدان المضحين القداسة بالامتزاج مع روح الآلهة التي حلت في الأضحية، وهو ما قد يفسر معتقد الليبيين القدماء بعادة شربهم للدم عندما يتواعدون أو يتعاهدون على أمر جلل[11]، وشُرب الطوارق للدم في غياب الماء[12]، صحيح أن الأمر علل بتحصين الشخص الشارب للدم من العطش لفترة طويلة؛ ولكن أغلب الظن أن الأمر متعلق بارتباط الدم بالروح – كما سنرقب ذلك لاحقا – وليس بعيدا عن هذا المعتقد قد تفسر شعيرة تعليق أو وضع أفراد المجتمع الفزاني لقرون أو آذان الأضاحي أو طحالها على أسطح المنازل بغية إكسابهم قوة ومتانة وروحانية الحيوان المضحى به؛ ثم إن عادة توزيع ميراث الميت قد تفسر برغبة الورثة في تشرب صفات المتوفى، وضمن إطار هذه الطقوس قد يمكن فهم قيام السكان بشعيرة ذبح قربان عند بناء بيت جديد أو دخوله بـ:

أ- أن الروح التي ذبحت بمثابة فداء عن روح أحد ساكنيه.

ب- كون الأضحية ترضية للأرواح الشريرة وحماية من الحسد والشر وعدم الذبح يعرض صاحبه لمكروه.

ج- للدم مفعول سحري قوي لتحسين الخصوبة وتسريع الولادة الجديدة [13].

يقودنا التدوين أعلاه حول شعائر معتقد الإنسان البدائي بحلول روح الإله في الأضحية الحيوانية ومنها الثيران واستمراها عند الليبيين القدماء إلى محاولة تتبع تلك الطقوس في مناحي ثقافتهم؛ وفي هذا المقام يذكر (جيمس) أن عادة التلطخ بدم الأضحية القربانيه عند الإنسان القديم تعد بمثابة مشاركة للإله؛ بمعنى أن الدم أداة انتقال الحياة الإلهية بشكل خارجي بدلا من الانتقال الباطني عندما يأكلون اللحم أو يشربون الدم[1] وهذا الأخير يعد بمكانة روح؛ فهو يحتوي على أجزاء من الحياة، لذا فمن شرب الدم يكون كمن شرب الروح[2] معتقد نرصد امتدادًا له في ثقافة المجتمع الفزاني القديم؛ ويمكن الاستشهاد بطبعات اليد بالدم على صخور الأكاكوس تعود لفترة الرؤوس المستديرة والطبعات ذاتها عند دخول العروس لبيتها الجديد؛ كما يلاحظ أثر هذه الشعيرة في انتشار الكفوف المطبوعة أو المصبوغة بالحناء على جدران منازلهم الداخلية والخارجية وفي كل محل مقدس؛ لأن لونها يماثل أو يعوض عن الدم الذي يجري من الأضاحي بهدف التطهير والحماية من الأرواح الشريرة[3]؛ الأمر الذي قد يبرر ثقافة دهن بعض القبائل الليبية القديمة كامل أجسامهم باللون الأحمر[4] القاتم[5] ووشم الطوارق موتاهم به – فاللون الأحمر هو البديل الطقسي

---

[9] محمد سعيد القشاط: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، مطابع اديتار، إيطاليا، 1989، ص125.

[10] على كسار غدير: " الصلات الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الإفريقية قبل الإسلام "، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد الأول، آذار، 2007، ص80.

[11] هيرودوت: الكتاب الرابع، مرجع سابق، ف172.

[12] همام هاشم الألوسي: الطوارق الشعب والقضية، دار أبي رقراق، الرباط، 2010، ص209.

[13] لاتزال هذه الثقافة مستمرة إلى الوقت الحالي، يلاحظ ذلك من امتناع أفراد المجتمع عن تخطي دم الأضحية مع ضرورة وضع ملح الطعام الذي يظن بقدرته على طرد الأرواح الشريرة والجان والحسد. من معايشة الباحث لمجتمع الدراسة.

[1] جيمس فريزر: مرجع سابق، ص682.

[2] توفيق كنعان: " الاعتقاد بالعفاريت "، ترجمة: يحيى شعوراه، مجلة الفنون الشعبية، العدد الرابع، دار الثقافة والفنون، عمان، الأردن، تشرين الأول، 1974، ص117.

[3] عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص156، ص170.

[4] وهي تراب صلصالي يستخدم في التخضيب وكان يدهن بها الإنسان القديم موتاه ويلون بها جسمه للاعتقاد الديني فيه. ينظر: بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص88.

[5] هيرودوت: الكتاب الرابع، مرجع سابق، ف191.

للدم الذي يرمز إلى تجديد الحياة – ربما إيمانا وتيمنا بالحياة بعد الموت ،كما درجوا على صبغ ثيابهم ومنازلهم وبعض زينتهم به؛ وهي شعائر تكسب فاعلها حسب اعتقادهم مناعة من السحر والأرواح الشريرة وتجلب له الخير والخصوبة [6].

وبالتتابع في رصد الشواهد الجلية في تقديم الثيران كأضحية هنية في شعائر المجتمعات الرعوية الصحراوية قد تستنبط من دأب المصريين القدماء في طقوسهم الجنائزية على ذبح ثور أمام المقبرة قبل دفن الجثمان ويعرف " بذبيحة النعش " فلا تكاد تخلو مقبرة من مدافن الملوك الفراعنة في الدولة القديمة – والتي شكل الليبيون القدماء جزء منها كما ورد سابقا – من ذبح الثيران وذلك وفقا لشعائر خاصة[7]، وبالمثل ذكر (بيتس) أن الليبيين القدماء كانوا يذبحون عند المقابر وقت الدفن قربانا للمتوفي، وإذا ما كان ذا مكانة وأهمية فإن الطقس ذاته يتجدد من وقت لآخر؛ الشعيرة ذاتها يرصدها (هلموت) بعد زيارته لواحات فزان[8]؛ كما كانت قبائل الأكان والزغاوة (Zaghawa) – ضمن مستوطني الصحراء الوسطى القدماء – تذبح ثورا كأضحية قربانيه عند وفاة أحد ملوكها[9].

وعلى ذلك يبدو أن التدوين أعلاه قد يشير إلى:

1- أن الأضاحي في ثقافة المجتمع الفزاني تأخذ طقسا شعائريا دينيا؛ فقد عد الثور قربانا ووسيلة تقرب واقتراب وإذابة للمسافات بين العابد والمعبود وبمثابة أداة لإظهار الولاء والطاعة والتماس العفو والتعبير عن الخشوع للإله؛ فالفزاني لايزال إلى الوقت الحالي يسفك دماء الأضاحي عند نجاته من أخطار محدقة أو قبل البدء بأداء أعمال معينة؛ نلمس ذلك من ذبحه لأضحية عند وضعه لأسس قواعد بيته وعند حصوله على مركوب جديد أو عند السفر والعودة منه...إلخ؛ يتبع ذلك شعائر وطقوس العناية بدم الأضحية والحرص على الاستفادة منه على نحو معين كطبع الدم بالأيدي على البيت الجديد أو دهن جبهة الشخص الذي ذبحت الأضحية لأجله بدم الأضحية بغية تحقيق رابطة وصلة متينة بين الشخص والأضحية تعبيرا عن الرغبة في أن ينتفع بها انتفاعا حقيقيا ولتحقق له ما ذبحت لأجله.

2- أن الفزاني القديم – احتمالا – اعتقد بقدسية الثيران وألّهها للحصول على البركة ودرء الشر إلا أن ذلك لم يمنع من تقديمها كقرابين مقدسة تذبح على شرف الآلهة الكونية، فجاءت الطقوس محاكاة للمعتقد ومتوائمة معه؛ حتى أنه إذا ما أظهر بعض الطقوس من المعتقدات حاليا تتفق مع مبادئ الدين الجديد فإن الأمر قد يمكن إرجاعه إلى عملية تكيفية ومواءمة متعمدة لجأت إليها العقلية الشعبية كي تضمن بقاء المعتقد الشعبي واستمراره وسط بيئة الدين الجديد.

- **لوحة وادي كيسان(Wadi – Kissan) بالأكاكوس:** تعود لدور الرؤوس المستديرة (لوحة:32) وتجمع بين الأشكال البشرية و الحيوانية؛ وقد صبغت باللون الأخضر، و نزعم أنها تحمل أكثر من شعيرة من الطقوس الدينية في الحضارة المصرية القديمة وتحديدا الشعائر التي يؤديها الملك أثناء اعتلائه العرش ولها علاقة بموضوعنا، و المنظر يتكون من شخص مذكر في الوسط برأس مستديرة صُبغ باللون الأحمر وخط شكله الخارجي باللون الأبيض يبدو كما لو كان يجري أو يرتفع في الهواء يمسك بيده اليسرى هراوة واليمنى مفتوحة وفي أسفل اللوحة شخص آخر بلون أخضر يمسك بيده اليمنى هراوة بينما في اليد اليسرى أغصان أو ربما تكون عصي حفر ذات نهايات مقوسة؛ ورسم في يمين اللوحة وعل أو كبش بري، وفي منتصف المنظر من أعلى شخصان (رجل وامرأة) كأنهما في وضعية رقص يقفان أمام وعل مربوط من قدمه وإلى اليسار حيوان مرقط –أقرب للثور– باللون الأسود والأبيض وفوق رأسه نصف قرص وفي أقصى اليسار أسفل اللوحة شكل بيضاوي دهن الجزء العلوي منه ثم غطي ببقع بيضاء دائرية وينتهي إلى الأسفل بست زوائد، ويقف شخص على رأسه ريشة بجوار الشكل ويقوم بضم حزمة من السيقان بين يديه، وتوجد زوائد على ظهره وأسفل منه حيوان أقرب للوعل الصغير، ويوجد داخل الشكل البيضاوي وبجواره ما يبدو أنه حزم من النباتات التي قام الشخص

---

[6] عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص129؛ هلموت كانتر: مرجع سابق، ص117–ص118؛ إسماعيل المبروك خليفة: مرجع سابق، ص138.

[7] سمير أديب: مرجع سابق، ص161؛ سليم حسن: مرجع سابق، ص111.

[8] Bates, op cit, pp.186

[9] الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق، ص179.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

المجاور له بقطعها ربما لإطعام الحيوانات التي يحاول استئناسها؛[10] تقرأ (إيمان) في اللوحة عدة طقوس كانت تقام خلال العصر الفرعوني تتعلق بالملكية (طق: سد حب) [11] ومنها:

1- **شعيرة الجري /** فالشخص الذي يجري حاملا هراوة في يده والذي يتكرر في لوحات أخرى تعود لفترة الرؤوس المستديرة يتشابه بشكل كبير مع ما يعرف بشعيرة (المرة الأولى لجرية الثور sp tpy pHrr Hp) حيث يجري الملك خلف ثور وهو يمسك بهراوة بغية الظهور كمطارد سريع بحيوية الشباب وصياد قوي لثور متوحش وملك قوي قادر على حماية وحراسة شعبه[1]؛ شعيرة قد يستشف منها: أن جدورها تعود أو تمتد لسكان فزان القدماء ومناصرة للسرد السالف حول الارتباط المحتمل بين احترامهم وتوقيرهم للثور وقوته البدنية؛ أن الألوان (الأحمر–الأبيض–الأخضر) تضفي على الشكل الإنساني الذي يحمل الهراوة واللوحة ككل مغزى ديني؛ فالأول عد رمزا للحياة واستمراريتها في العالم الآخر – كما أوردنا سابقا – ويعد من الألوان التي وشحت بها قباب مقابر الأولياء الصالحين بفزان[2]؛ مما يشير إلى بعده الديني والتصاقه بعالم السماء ويقربه من المعنى الميتولوجي المصري القديم؛ فقد ارتبط بحماية الفرعون من الأخطار السحرية[3]؛ ولا يختلف الوضع بالنسبة للون الثاني، فهو اللون الرمزي للموت والأرواح والنقاء للشخصيات الإلهية في رسوم سكان الصحراء – كما ذكر سابقا – ووادي النيل المصري[4]؛ وفي الآن ذاته يعد من الألوان الأكثر تواجدا على المباني الدينية المنتشرة بواحات فزان[5] دلالة على حضوره الديني؛ الأمر الذي يعطي لهذا الجزء من المنظر معنى ميثولوجي، و يبقى اللون الأخير والذي ارتبط برسوم الأكاكوس بالموت والبعث واستمراره في المعتقد الفزاني؛ يرصد ذلك من تزيين قباب مقابر الأولياء الصالحين بالأعلام القماشية الخضراء ويعلقون قطعا صغيرة منها في معاصمهم وثيابهم تعرف بـ (رهينات) لجلب الخير والبركة والشفاء لمرضاهم، كما ارتبط هذا اللون بالقوى العلوية التي تحقق أمانيهم ومرادهم[6]، ولا يختلف الوضع بمصر الفرعونية فهو يشير للخصوبة والنماء[7].

2- **شعيرة احتفال تتويج الفرعون/** فيها يصاحب الملك في احتفاله ثورا أبيض ويضحي به في نهاية الاحتفال ربما قصد به تجسيد الإله أوزيريس وهو ما نجد تماثلا له في الثور أعلى اللوحة أقصى اليسار؛ فهو يتميز بوجود نقاط بيضاء قرب رأسه وعلامة لنصف دائرة مرسومة بين قرنيه مع حجمه الكبير مما يجعله من ناحية ثورا امتلك السمات الملزم توافرها لتتم به القداسة و تؤهله ليكون قربانا أو أضحية ملكية؛ أو ربما يكون امتدادا لطقس أو شعيرة يضع فيها الصياد علامة على أول مولود من حيواناته عندما يكبر يضحي به قربانا كونه أول البواكير؛ ومن ناحية أخرى يقربه من الثور أبيس – السالف ذكره – يؤيد ذلك أن عناصر المنظر مترابطة ويشد بعضها البعض؛ فالعنصر الأول هو وجود الملك وهو يحمل الهراوة وفي وضعية الجري أو المطاردة؛ والعنصر الثاني هو الثور أو الأضحية المستهدفة من المطاردة[8].

في الواقع قد يمكن أن نقرأ من معالم صورة الثور داخل إطار اللوحة أعلاه:

أ- أقدمية كون الثور أضحية أو قربان في شعائر المجتمع الفزاني البدائيPrimitive Society.

ب- توافر خصائص أو سمات معينة كضخامة الحجم واللون في الأضحية المختارة والمقدمة للإله.

---

[10] فائز أنور عبد المطلب: مرجع سابق، 110؛ فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص168.

[11] يظن بأن جذوره عادة وحشية؛ فالسلطة الملكية لا تمنح في الأصل للفرعون إلا لمدة ثلاثين عاما يخلع عند نهايتها أو يقتل، ثم تطورت فيما بعد فبدل أن يقتل استعيض عنه بتقديم أضحية حيوانية ضمن عدد من الشعائر عرفت بإعادة إحياء القوى الحيوية للملك؛ فالملكية الفرعونية قامت على فكرة أساسية وهي ألوهية الملك وقداسته وقد ارتبطت بامتلاكه لأكبر قدر من القوى الحيوية التي بها يتحكم في جميع مظاهر الكون؛ فهو واهب الحياة لشعبه وللنباتات والحيوانات والوسيط بين عالم الأرباب والناس...الخ وأن هناك حالات تضعف قواه الطبيعية والسحرية كالمرض والهرم وتجعله ليس أهلا لمنصبه؛ لذا فهو يحتاج لتجديد حيويته على الدوام لضمان قدرته على إعادة توزيع الطاقة الحيوية على الكون وما حوله؛ ومن هنا جاءت طقوس الاحتفال بعيد (حب – سد) يحتمل أيضا بأن يكون = مسمى حب – سد مرتبط بلقب للإله (ويوات) أو الإله (أنوبيس) الذي يعتقد بجذوره الليبية. للمزيد ينظر: سليم حسن: مرجع سابق، ص3؛ أنتا ديوب: مرجع سابق، ص96؛ حمدي عباس أحمد: مرجع سابق، ص38.

[1] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص169–ص170.

[2] عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص165، ص169.

[3] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص197.

[4] بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص196.

[5] عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص165.

[6] فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص46–ص47؛ عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص168–ص169.

[7] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص196.

[8] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص176–ص177.

ج- ارتباط قربان الثور بالشخصيات المؤلهة.

د- أن ذبح الملك للثور في نهاية شعيرة الاحتفال قد يشير من طرف إلى الاعتقاد بالخلاص من الشرور والذنوب والخطايا من نفوس الناس، فقد اقترح خمسة أسباب لتقديم القربان ومنها: العبادة، التعبير عن الامتنان، دعم السلام والمصالحة، الكفارة من الذنوب والخطايا والمقايضة[9]؛ ومن طرف آخر استعادة القوى الحيوية؛ فكلمة القربان في مفردات لغة قبيلة (الدوجون Dogon) المنتشرة بمالي وبوركينافاسو معناها إعادة الحياة، فالمرض وارتكاب المحرمات Taboo تسبب في فقدان بعض القوى الحيوية ولا يمكن استعادتها إلا إذا سال دم الأضحية[10].

3- **شعيرة قطع السنابل/** حيث يقوم الملك برفقة الملكة في الحضارة المصرية القديمة بقطع حزمة من السنابل أو السيقان وتقديمها للثور الأبيض[11]؛ الوضع الذي قد يمكن ربطه بمنظر الرجل الذي يجمع حزمة من سيقان النباتات بين يديه مع وجود حزمة أخرى بجواره، و تذكر (إيمان) بهذا الصدد أن هذه الشعيرة تشكل بداية محاولة استئناس الحيوانات؛ خاصة أن اللوحة بها حيوان مربوط القدم وأمامه رجل وامرأة في رقصة ثنائية وأن طقس حب سد هو الشعيرة الوحيدة التي يتشارك فيها الملك والملكة والتي ربما تكون أمه التي تثبت أحقيته في العرش أو زوجته؛ وعلى هذا يبدو أن هذه الشعيرة قد تطورت مع تطور حياة المصريين في الوادي وارتباط اقتصادهم بالزراعة فصارت عيدا مرتبطا بالحياة الزراعية وعرف بعيد حصاد الموسم[12] ؛ قد يأخذ هذا السرد اتجاه سياقين:

الأول/ وفيه نتفق مع (إيمان) حول محتوى محاولات استئناس الحيوان في اللوحة الذي يؤيده سرد (بن بوزيد) عن محاولات رعاة الأكاكوس تدجين الأروية منذ عصر الرؤوس المستديرة[13] ولكننا نربط بداية ثقافتها برعاة فزان القدماء وتطورها فيما بعد وبشكل كبير بعد رحيلهم من موطنهم إلى وادي النيل المصري.

الثاني/ يذكر فيه (جيمس) بأن طقس الموت الحيواني كان في الأصل روح النباتات التي كانت تقتل سنويا في فصل الربيع كي تعود الحياة النباتية بكامل شبابها ونضارتها[14]؛ وهو السرد الذي نعتقد بأنه يتفق مع مضمون المنظر، يؤازر ذلك الجمع بين كون الحيوان المربوط وبجواره سيقان النباتات وعل وأن حوالي (70%) من مجموع بقايا عظام الحيوانات بالأكاكوس (تين طره، شرق – غرب) هي من الأروية (الوعول)[1] صادق على الإفادة الآثارية العثور على عظامها في كهف تين هناكتن – السالف ذكره – ومضمون لوحة تعود لدور الرؤوس المستديرة تظهر صيادي الأكاكوس وهم يقدمون وعل كقربان أو أضحية[2]؛ مما يدلل على كونها حيوانات قرابين إلا أنه مع ظهور الأبقار والثيران تختفي الوعول من المناظر تقريبا، ربما بسبب تحول السكان من الاقتصاد الرعوي إلى الزراعي. واستمرارا في رصد الارتباط المحتمل بين ذبح الحيوان وبدايات الفلاحة يطلعنا منظر بالصحراء الوسطى يظهر جانبا من مزرعة يقوم فيها أعضاء الجماعة بعملية الحصاد ويظهر أعلى الرسم أحد الحيوانات الذي يحتمل أنه تم نحره لمباركة عملية الحصاد وزيادة المحصول[3] ؛كما يتفق (بيتس مع الطاهر) بأن الليبيين القدماء كانوا يذبحون حيوانا كقربان عند بداية موسم فلاحة حبوب القمح والشعير وفق شعائر احتفالية تعبدية تبدأ من حراثة الأرض وبذرها إلى الحصاد ودرس محصولها وانتهاء بترك أجزاء من أصولها لمباركته وطرد الأرواح الشريرة عنه ولتحل من جديد البركة في محصولها القادم[4].

على هذا يبدو من جانب أن إنبات الأرض و خصوبتها كذا وفرة محصولها بمجتمع فزان القديم مرهون بسفك دماء الأضاحي من الحيوانات كالوعول والثيران وقد ظل شائع بها إلى عهد قريب ومن جانب آخر قد يبرر عادة

---

[9] أسامة عدنان يحي: ذمرجع سابق، ص190–ص192.

[10] هوبير ديشان: مرجع سابق، ص53.

[11] سيريل ألدريد: مرجع سابق، ص123، ص131.

[12] إيمان محمد نبيل: مرجع سابق، ص175–ص176؛ برسيا الياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ج1، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، بدون، 121.

[13] بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص157.

[14] جيمس فريزر: مرجع سابق، ص734.

[1] بن بوزيد لخضر: مرجع سابق، ص146، ص157.

[2] فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص79.

[3] حمدي عباس أحمد: مرجع سابق، ص239.

[4] عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص15 Bates, op cit, p.161

تضحية المصريين القدماء بإله الوعل مرة كل عام[5]؛ وفي الاتجاه ذاته واستكمالا لسرد (جيمس) فإن روح الحنطة (القمح) اتخذ في ثقافة بعض الشعوب القديمة شكل حيوانات منها الأبقار والثيران، فالمصريون القدماء مثلا كانوا يضحون بالثيران الحمراء في حقل الحصاد والدرس ربما لتماثلها مع روح الحنطة أو أوزيريس الذي ارتبط دائما بالثور أبيس وكان الدم والذيل جزئيين أساسيين في تمثيل روح الحنطة حيث يؤخذان ويحفظان في بيت الملك؛ وبالمثل تظن بعض الشعوب الإفريقية أن روح الحنطة تكمن في الثيران؛ لذا كانوا يضحون بها بعد قطع ذيولها اعتقادا بأن قوتها الإثمارية تكمن بشكل خاص فيها بغية الحصول على محصول وفي[6]، وعلى ذلك ربما تكون هذه الشعيرة البدائية هي تطور لمحتوى طقوس الفزاني القديم في لوحة كيسان للتشابه في مضمون اللوحة؛ يساند ذلك أقدمية عناصر اللوحة واتفاق المؤرخين على هجرة منجزيها بسبب الجفاف إلى مناطق المسطحات المائية؛ مثل: وادي النيل، نهر النيجر وبحيرة تشاد، كما يرصد الباحث أهمية الذيل كرمز للسلطة والسيادة في محتوى ثقافة سكان فزان وفي الآن ذاته قد يكون مساره ثقافته مناظر لاعتقاد قبائل الاكان – السالف ذكرهم – كطارد للأرواح الشريرة[7].

في المجمل تبدو طقوس هذه اللوحة وحيدة في تفاصيلها ومعقدة في نظامها عن الطقوس الأخرى نستقرئ منها أن جزء مهماً من طقوسهم الدينية تأصلت في عصور قديمة وكانت لهم محاولات لاستئناس الوعول والثيران بهدف التضحية بها وفقا لشعائر دينية؛ كما تشاهد في مناظر المصورات والتدوينات المصرية القديمة.

- **طقوس استنزال المطر Rain-Making**

سعى الإنسان البدائي ومنذ وجوده ليُأمن لنفسه موردا كافيا من الأمطار، فالماء جوهر الحياة وبدونه يهلك الإنسان والحيوان وكذا النبات، عليه ليس بمستغرب أن تكون أقدم طقوسه الدينية كانت لاستجلاب الأمطار وبهذا الموضع عد الثور وبخاصة الأسود منها – قد يعلل هذا اللون بأنه نتاج حرقها وصعود الدخان الأسود ليجمع السحاب ويسبب سقوط المطر – رمزا للخصب والقوة والإرواء وهو ما يذكرنا بثور الأكاكوس الأسود السالف ذكره.

- ظهور قوس قزح وبعض الحيوانات ومنها الثور كما يلاحظ (الطاهر) في محتوى ميتولوجية المجتمع الليبي شخصية الولي والذي يعد من جميع الوجوه كائنا يمتلك قوة عليا فوق الطبيعة وقد يتمثل في جسم طائر أو حيوان له قدرة على إنزال المطر[8]؛ مما يشير إلى أهمية دور الملك أو الساحر في الهيمنة على طقوس وشعائر تأمين الحياة للقبيلة كصانع المطر في المجتمعات القديمة، و في الوقت نفسه إلى التوافق البين بين الملك والثور وثقافة استدعاء المطر وإنزاله، بمعنى أن الثور اتخذ تعويذة سحرية في طقوس الاستسقاء؛ قد يستشف جزء من هذه الشعائر من مضمون بعض لوحات الأكاكوس ومنها :

- لوحة (وادي ايكي) نهاية دور الرؤوس المستديرة (لوحة:33) وهي تحوي منظر رقص لثلاثة أشكال بشرية يعلو رؤوسها ما يشبه القرون مع أغطية تماثل الخوذات أو أقنعة تتجه أنظارهم إلى السماء كأنها تستعطف الآلهة من أجل شيء ما؛ يرفع الشكل الأول والثالث ما يشابه غصنا مورقا – قد تكون أوراق سعف شجرة النخيل –[9] ونستنبط من المنظر إفرازين:

الأول / أن الثور قد يأخذ صورة الملك أو الساحر والذي هو دائم العطاء له القدرة على صناعة أو استدعاء المطر أو إنزال السقيا[10]؛ الأمر الذي قد نرصده في ثقافة سكان فزان القدماء، فأمير قبائل الطوارق (Touareg) (الامينوكالAminoucal) – شخصية دينية ولكنه ليس ملكا يتمتع بالحق الإلهي– هو الذي يتضرع إلى الله (الإله) ليجعل الناقة ولودا وينزل المطر على أراضي قبائلهم في الآن ذاته تربط هذه القبائل بين رقصة طقسية قد تعود إلى اللغة المبكرة لغة الرمز أو ما يمكن أن نطلق عليه تسمية الصورة البدائية والمتجسدة بالدعاء أو شعائر إنزال المطر والسيطرة عليها كما قد يكون مقرون في ذهن الفزاني القديم، فهناك صلة وثيقة بين القناع Mask والحيوان المقدس

---

(5) ريشوتي: مرجع سابق، ص39.

(6) جيمس فريزر: مرجع سابق، ص614–ص615.

(7) ربيعة فائز: المعتقدات الدينية في أفريقيا الغربية " دراسة للمعتقدات الدينية قبل دخول الإسلام لغرب إفريقيا "، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة سبها، 2010، ص63–ص64.

(8) عبد الجليل الطاهر: مرجع سابق، ص160.

(9) فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص170.

(10) Geoffrey Parrinde ,African Mythology,Astronaut House Feltham ,the aml yn Publishing group 1t ,London/New

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

والأرواح؛ فهؤلاء المقنعين يمتلكون قوى سحرية يعتقد (هوبير ديشان Hopire) أن ضمن استخداماتها استدعاء الأمطار فهي محفز للقوى الخفية التي يسخرها الإنسان لتحقيق غاياته[11]، وهو ما قد يبرر ويفسر لوحات الأجسام البشرية برؤوس الثيران بالأكاكوس تعود لدور الرؤوس المستديرة، و قد يستأنس بطقس شعائري احتفالي موسمي لقبائل الطوارق ببلدة غات القديمة يضع فيه المحتفلون قبعات تنكرية (أقنعة) تصنع من سعف النخيل، و يضرب المحتفلون بعضهم بعضا بعيدان خضراء مورقة من سعف النخيل[1]؛ فلعله امتداد لشعيرة إنزال المطر بالأكاكوس.

الثاني/ وجود أشخاص روحانيين مثل الكهنة والسحرة يدعون امتلاكهم قدرات سحرية قادرة على استدعاء المطر والاستسقاء وتخصيب الأرض . لوحة أونرحات (السيدة البيضاء) بالتاسيلي – السالف ذكرها – / تُظهر امرأة ذات قرنين كبيرين يغطي أعلى جسمها نقاط ربما تمثل أدعية أو تعاويذ لعلها حبوب أو ماء، وترتدي قطعة قماش في وسطها...الخ ويظن بأنها ربما تكون كاهنة مرتبطة بالزراعة أو إلهة للمطر[2]؛ مما يبين التوافق بين الثيران والأمطار، ويقربنا من صحة السرد السالف في كون القرون الشعائرية التي وجدت بليبيا وتعود للعصر الحجري الحديث تعبر عن أوجه كثيرة من الأبراج السماوية كالشمس والقمر وكذا الثور ضمن مضمونها الديني دور المطر في إخصاب الأرض.

ضمن صور اقتران الثور أو قرونه بطقس إنزال المطر تطفو فكرة تقديم الأضاحي ومنها الثيران لرب السماء كانت لأجل استنزال المطر؛ فقد عثر في معبد الحفرة بالجزائر نصب نقش عليه رأس ثور عد دليلا مهما على كون الثور حيوان تضحية في ثقافة سكان المغرب القديم كرمز للخصب والمطر وإنزال الصواعق [3] ، وهي الشعيرة التي تذكرنا بثور لوحة كيسان السالفة، وفي الآن ذاته لطقوس المجتمع الليبي في احتفاله بسقوط الأمطار واستقبالها؛ ويكون ذلك بذبح شاة وتوزيعها على المحتاجين حيث يقفون برفقة أطفالهم في سقوط أول زخاته [4].

في الواقع مربنا سالفا كون الثور إلها مسؤولا عن الخصب والنماء والحياة بقوته التناسلية، وبما أن المحاكاة تعد المصدر الأول الذي انبثقت منه طقوس الإنسان البدائي فهناك احتمال أن الثور ارتبط في العقلية الفزانية بفكرة استدعاء الأمطار لدورها في إخصاب و تلقيح الأرض وإنبات الزرع وامتلاء الضرع باللبن، أي خروج الحياة إلى النور؛ كما شكل الثور رمزا من رموز المطر واقترن طقس تقديسه كإله للمطر والخصب لأنه في الأصل تجليا لإله القمر وأن قرونه هي رمز بديلا له، كما ذبح الثور كأضحية أو قربان لعله إرضاء لآلهة الأرواح المتحكمة في استجلاب المطر والمخلصة من الجذب والقلق والموت.

الخاتمة

بعد هذا التدوين آن لنا أن نضع رحالنا ونشرع في كتابة أهم وأبرز استنتاجاتنا المستخلصة من الورقة منها:

1- لاتزال المعطيات المعلوماتية غير كاملة وكثير من الأسئلة دون إجابة، ولكننا قد نقر بأننا في نهاية البداية ونأمل أن يكون البحث قد سد بعض الفراغ.

2- يقرأ من محتوى الأرشيف النقشي والرسمي الصخري الضخم لمختلف أنواع الحيوانات مثل: الوعول، الأبقار والثيران بمرتفعات ومخابئ الأكاكوس والتاسيلي وتعود لدور الصيد والرؤوس المستديرة:

ا-أصلها المحلي وأقدمية تواجدها بالواحات.

ب-الصورة الأصلية لفكرة جذور ثقافة استئناسها.

ج-كون الأرشيف محطة محورية في نقل ثقافة الاستئناس إلى المناطق المجاورة ومنها وادي النيل المصري.

د-كونه حقلا دينيا خصبا احتضن أولى الديانات الإنسانية(الطوطمية).

3- شكلت مميزات الثور الطبيعية كقوته البدنية وقدرته التناسلية الاخصابيه مع كونه رمزا للمطر والخصب دافعا أساسيا في تبني العقل الفزاني البدائي بأنه جدير بالعبادة والتقديس.

---

(11) هوبير ديشان: مرجع سابق: ص53.

(1) مريم بوزيد سبابو: تن كيل سبيبه في معنى شعيرة عاشوراء بواحة جانت، وزارة الثقافة، مذكرات المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ، علم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2013، ص35.

(2) فائز أنور عبد المطلب: مرجع سابق، ص151.

(3) محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج1، مرجع سابق، ص 341.

(4) أحمد أبوزيد المسماري: لمحات من التراث الليبي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط2، 2007، ص127.

4- يعطي محتوى مضمون أساطير ثقافة الثيران لمجتمع سكان فزان القدماء مؤشرا على عمق تفكيرهم ونظرتهم إلى الحياة والكون وفلسفتهم بظهور الإنسان.

5- درج متديني فزان القدماء منذ عصر الصيد على وضع قرص الشمس أو القمر أو الهلال فوق رؤوس بعض ثيرانهم ربما لإعطائها صفة سماوية كونية.

6- أن بقايا مشاهد الثيران المضحى بها أو التي أعدت للنحر بمرتفعات الأكاكوس قد تشير إلى:

أ- كون الثور أضحية ذبحت للآلهة بوصفها المصدر الأول للظواهر الكونية. ب-وجود تراث ديني قديم كان في الأصل طقسا تعبديا يمارسه المجتمع.

7- ارتقاء الكهنوت الديني للفزاني القديم من ثقافة تقديس الأجرام السماوية مجردة بعيدة عنه إلى تجسيمها؛ فاتخذ من الحيوانات ومنها الثيران وقرونها رموزا أرضية لها ومن عبادة الثور في حد ذاته (الطوطمية) إلى كونه حاملا لروح سامية سكنتها تمثلت في روح إلهه التي حلت في ذلك الثور.

8- وجدت معابد لعبادة الثيران أشرف الكهنة على تنظيم طقوسها وشعائرها بهدف تأمين الخصب للأرض واستنزال المطر وتكاثر الحيوانات.

9- لا تزال الذاكرة الجمعية لمجتمع فزان تختزل أفكارا دينية ترتبط جذورها بإجلال وتقديس وعبادة طوطمية حيوان الثور ضمن الموروث الثقافي (الشفهي) كاستمرار المثل الشعبي: (الأرض محمولة على قرني ثور) الذي تناقلته الأجيال ثم اندثرت طقوسه ولم يبقى منها سوى إشارة موجزة توحي بالمعتقد وتومي إليه.

السنوات/قبل الآن وفقًا للكربون ١٤	مراحل الفن الصخرى	بداية ونهاية كل مرحلة
	– مرحلة الحيوانات الضخمة البرية أو الصيد	
	– مرحلة الرءوس المستديرة	(بدايات): – رسوم بخط الكفاف* – رسوم ملونة الأصفر، الأخضر، الأحمر
٨٠٧٢		(نهائى): رسوم، الناس بشكل زنجى
٧٠٤٥		قديم (رعاة البحر المتوسط شكل وان أميل)
٦٥٧٤		
٥٩٥٢	– مرحلة الرعى	متوسط
٥٤٠٥	نقوش ورسوم	الحديث (رعاة طوال القامة)
٤٧٣٠		
	– مرحلة الحصان نقوش ورسوم نقوش ورسوم	سكان البحر المتوسط
٣٤٥٠	مرحلة الجمل	

جدول يبين مراحل الفن الصخري بمرتفعات الأكاكوس

ينظر، فابرتيشيو موري: مرجع سابق، ص 239.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر

- هيرودوت: الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت ((الكتاب السكيني والكتاب الليبي))، ترجمة: محمد مبروك الذويب، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2003م.
- هيرودوت: الكتاب الثاني، ترجمة، محمد المبروك الذويب، التاريخ الليبي القديم، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي،
- تشارلز دانليز: الجرمنتيون، ترجمة: أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس الغرب، ط2، 1991.

- ديفيد ماتنقلي: منطقة طرابلس في العهد الروماني، ترجمة، محمد الطاهر الجراري ومحمد عبد الهادي حيدر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، Ma Mattingly David and et al, The 2 Archaeology of Fazzan Vol.1, Synthesis, Published by the D
- .009.5pp7 .epartment of Antiquities, The Society for Libyan Studies, London. 2003

ثانيا/ المراجع المعربة

- أحمد فخري: واحات مصر، المجلد الأول، واحة سيوه، ترجمة: جاب الله علي، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 1993.
- جاك تيري: تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والإعلان، مصراته، 2004.
- فابرتيشيوموري: تادارات الأكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء ما قبل التاريخ، ترجمة، عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 1988.
- وليام، هاولز: ما وراء التاريخ، ترجمة، أحمد أبوزيد، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م.
- فراس السواح: لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ط8، 2002.
- فائز أنور عبد المطلب: الفن الصخري في إقليم فزان في مرحلة الصيد والرؤوس المستديرة، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2014.
- جورج بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة، أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1966.
- شيخ أنتا ديوب: الأمم الزنجية والثقافة، ترجمة، ريما إسماعيل، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 2001.
- جيمس فريز: الغصن الذهبي، دراسة في السحر والدين، ترجمة، نايف الخوص، دار الفرقد، دمشق، 2014.
- بياتريكس ميدان – رينيس: عصور ما قبل التاريخ في مصر، ترجمة، ماهر جويجاني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
- سليجمان. س. ج: السلالات البشرية، ترجمة، يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، القاهرة،1965.
- ريشاتي: الصراع بين الإنسان والحيوان، ترجمة، عياد موسي العوامي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي. واليس بدج: السحر في مصر القديمة، ترجمة، عبد الهادي عبد الرحمن، سينا للنشر، 1998.
- واليس بدج: آلهة المصريين، ترجمة، محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994.
- اندريه لوروا غوران: أديان ما قبل التاريخ، ترجمة، سعاد حرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2005.
- سيريل ألدريد: الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة، مختار السويقي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 1996.
- هنري لوث: لوحات تاسيلي، قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ، ترجمة، أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، 1967.
- بأول جراتسيوسي: دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ترجمة، إبراهيم احمد إمحمد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2008.
- هلموت كانتر: ليبيا، دراسة في الجغرافية الطبية، ترجمة، عبد القادر مصطفي المحيشي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، بنغازي، 2002.
- اصطيفان اكسيل: تاريخ إفريقيا القديم، ج1، ترجمة، محمد التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،2007.

- Bates, Oric, The Eastern Libyans an Essay Cass and company, London, 1970,

ثالثاً: المراجع العربية

– أحمد عبد الحليم دراز: تاريخ وحضارة شمال إفريقيا، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2010.

– محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي، المعتقدات والمعارف الشعبية، المجلد الخامس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،2011.

– عبد الجليل الطاهر: المجتمع الليبي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1929.

- عقون محمد العربي: **الاقتصاد** والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- محمد الصغير غانم: **المظاهر** الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، دار الهدى، الجزائر، 2008م.
- محمد يوسف نجم وإحسان عباس: كتب الجغرافية والرحلات في ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968.
- فتيحة فرحاتي: نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213–46 ق.م الحياة السياسية والحضارية (213–45ق.م)، منشورات ابيك، الجزائر، 2007.
- سمير أديب: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- نجيب ميخائيل: "الزراعة"، سلسلة الحضارة المصرية، المجلد الأول، العصر الفرعوني، القاهرة، بدون.
- سليم حسن: مصر القديمة، ج7، القاهرة، 1950.
- حسين عبد العالي مراجع: العلاقات الليبية الفرعونية " منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر"، دار أماني للطباعة، دمشق ،1989.
- محمد بيومي مهران: المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، ج1، مصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون.
- صبحي الشاروني: فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993.
- إسماعيل حامد: موسوعة الأساطير الفرعونية، مكتبة النافذة، القاهرة ،2009.
- الهادي المبروك الدالي: قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا، منشورات مركز البحوث والدارسات الإفريقية، طرابلس الغرب، 2013.
- صبحي الشاروني: فنون الحضارات الكبرى، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1996.

– علي فهمي خشيم: آلهة مصر العربية، ج2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1990.

– أسامة عدنان يحي: السحر والطب في الحضارات القديمة، دار أمواج للطباعة والنشر، عمان، الأردان، 2005.

- عبد الحفيظ فضيل المبار: الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2001.
- عبد الهادي محمد البكر: حضارات وممالك قارة إفريقيا، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2011.
- همام هاشم الألواسي: الطوارق الشعب والقضية، دار أبي رقراق، الرباط، 2010.
- مريم بوزيد سبابو: تن كيل سبيبه في معني شعيرة عاشوراء بواحة جانت، وزارة الثقافة، مذكرات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، علم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 2013.
- أجمد أبوزيد المسماري: لمحات من التراث الليبي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط2، 2007.

رابعاً/ الدوريات

- ضياء العزاوي: " الحيوانات في المعتقدات الشعبية "، التراث الشعبي، المجلد السابع، السنة الأولي، بغداد،1970.
- سعد أبو حجر: " الفن الصخري في منطقة جبل العوينات "، التواصل الحضاري الليبي السوداني عبر العصور، أعمال الندوة العلمية العاشرة 1–2–2002، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس الغرب، 2006.

- كحيل البشير عطية: "الطوطمية وتقديس الحيوان لدي الإنسان المغاربي القديم"، مجلة البحوث التاريخية، بدون، الجزائر، 2009.
- ج. كي. زيربو: " الفن الإفريقي في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا، اليونسكو،1980.
- عبد المنعم أبوبكر: " مصر الفرعونية "، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا القديمة، اليونسكو، ط2،
- عبد الله حسن المسلمي: " العلاقات الليبية – البربرية مع مصر القديمة، التحنو في المصادر المصرية "، ليبيا القديمة، اليونسكو،1984.
- سكوت وندرات وفابري: " قرون الحيوان في عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وآثارها في حضارات أخري "، ترجمة، عديلة حسن مياس، ليبيا القديمة، المجلدان الثالث والرابع، باردي، روما، 1968.
- باسم عبد الحميد حمودى: " مقدمة في تاريخ السحر قديما وحديثا "، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث، بغداد، 1998.
- مصطفي الشورى: " صورة الثور الوحشي ودلالاته الرمزية في الشعر الجاهلي"، حوليات كلية الآداب، المجلد الحادي والعشرون، بغداد، 1993 –1994.
- على كسار غدير: " الصلات الاجتماعية والاقتصادية مع جنوب الصحراء الإفريقية قبل الإسلام "، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الخامس، العدد الأول إنساني، أدار، 2007.
- توفيق كنعان: " الاعتقاد بالعفاريت "، ترجمة، يحي شعوراه، مجلة الفنون الشعبية، العدد الرابع، دار الثقافة والفنون، عمان، الأردن، تشرين الأول، 1974.

خامسا/ الرسائل العلمية

– سالم محمد عبد الله: العلاقات الخارجية للملكة الجرمية، رسالة دكتوراه (غير منشورة) قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، مصر، 2015.

– بن بوزيد لخضر: الطاسيلي ازجر في ما قبل التاريخ، المعتقدات والفن الصخري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، 2012.

– إيمان محمد نبيل: الأصول الإفريقية في الحضارة المصرية القديمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007,

– عبد الله التوم كوري: الصحراء الليبية ونمطية الانتشار الثقافي " جذور الثقافة النوباوية نموذجا "، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة الفاتح، طرابلس الغرب، 2007.

– نهي محمود نايل: الدلالات الرمزية والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصرية القديمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم النقد والتذوق الفني، جامعة حلوان، القاهرة، 2003.

– إسماعيل المبروك خليفة: القيم الفنية والتقنية للفن الصخري في جبال أكاكوس ووادي برجوج، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الفنون الجميلة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس الغرب، 2006.

– بن السعدي سليمان: علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) قسم التاريخ، جامعة منتوري، الجزائر ،2009.

– سعد عبد المنعم بركة: الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى في العصر الحجري الحديث، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، قسم الأنثروبولوجيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة

- أم الخير العقون: العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 1988.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

(لوحة :1)

شخصيات بشرية ربما بذيول ثيران الحراريق، الأكاكوس، الدور الرعوي القديم
عن: موري، 1988، ص179

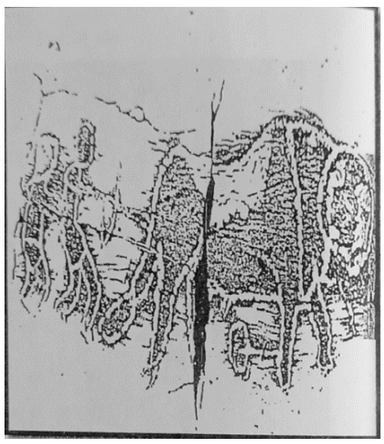

(لوحة:2)

ثور مقيد بحجر وخلفه صيادان يحاولان صيده، الصحراء الوسطى
عن: سالم، 2015، ص311

(لوحة:3)

ثور يتحلى بطوق حول رقبته، متخندوش، فزان، الدور الرعوي القديم
عن: باول، 1988، ص80

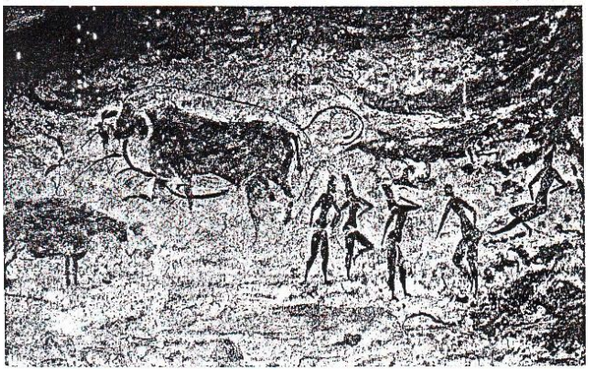

(لوحة:4)

طقس لوتري للرعاة الفلاتة أمام ثور مزدوج الرأس، مرتفعات التاسيلي
عن: ايمان، 2007، ص387

(لوحة:5)

شخصية بشرية برأس (كلب -ذئب)، امساك ميلت، فزان، دور الصيد
عن: بوزيد، 2012، ص13

(لوحة:6)

ثور ذو مظهر جسماني قوي، حرملان، الأكاكوس، الدور الرعوي القديم
عن: موري، 1988، ص192

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

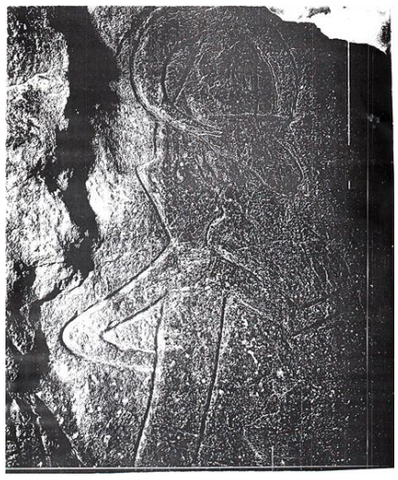

(لوحة:7)

صياد برأس ثور، امساك ازطافت، فزان، دور الصيد
عن: ايمان، 2007، ص369.

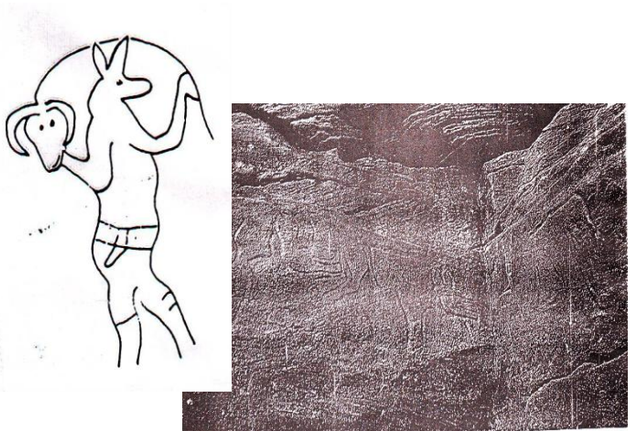

(لوحة:8)

خصية مقنعة يحمل ثور، امساك ازطافت، فزان، دور الصيد
عن: ايمان، 2007، 371.

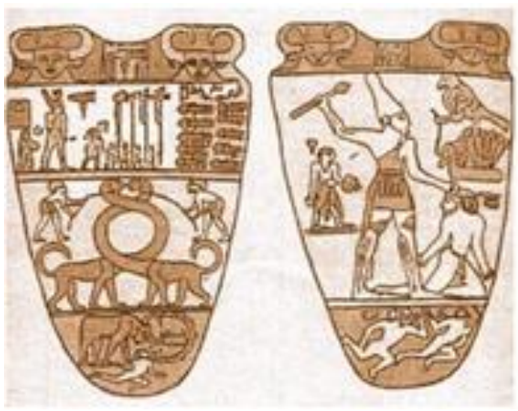

(لوحة:9)

الملك نعرمر أو مينا
عن: الاثرم، 2003، ص32.

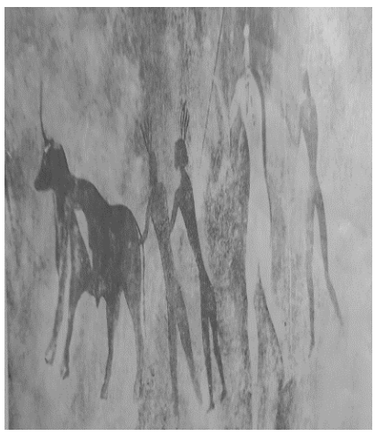

(لوحة:10)

شخصية كبيرة ومميزة قياسا بالمحيط، تشوينت، الأكاكوس
عن: موري ،1988، ص211,

(لوحة:11)

السيدة البيضاء أو الالهة الخصب والمطر، عوانريت، التاسيلي
عن: هنري، 1967، ص129

(لوحة:12)

ثور او فحل القوة الخالقة، وان اميل، الأكاكوس، الدور الرعوي القديم
عن: موري: 1988، ص193

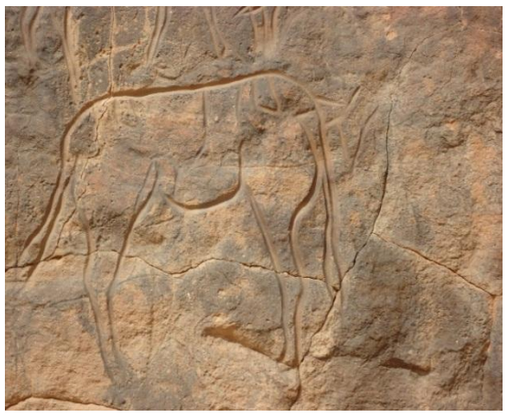

(لوحة:13)

تداخل مؤخرتين لحيوان لبوفيدي أو الثور مؤشر على الخصب، متخندوش، فزان
عن: باول، 2008، ص74

(لوحة:14)

ثور براسين ، سيفار ، التاسيلي . دور الرعاه القديم

عن : ايمان، 2007 ، ص387

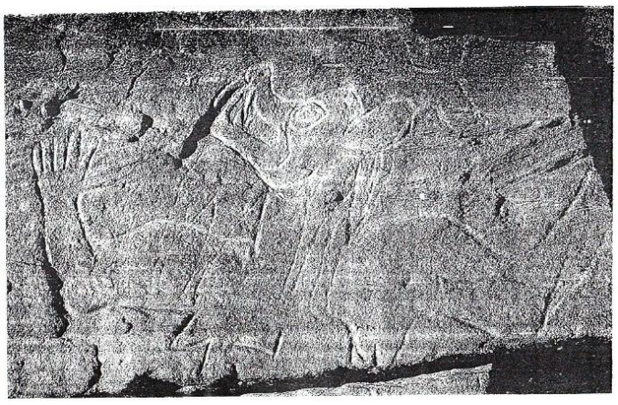

(لوحة:15)

انثى كلب فريدة من نوعها كونها آلهة للتناسل ازطافت
عن: سالم، دور الصيد، 2015، ص295

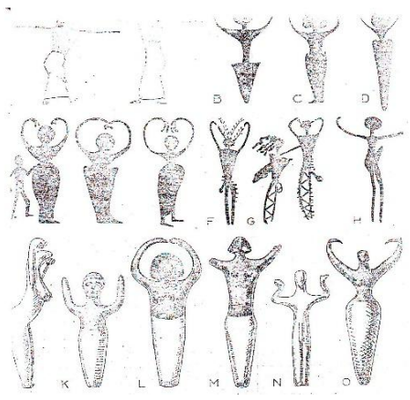

(لوحة:16)

رجال ونساء في رقصة البقرة أو الكأ، عصر ماقبل الاسرات بمصر القديمة
عن: إيمان، ص310.

(لوحة:17)

مجموعة من الاشكال البشرية في وضعية الجلوس والاذرع مرتفعة وكأنها في رقصة الكأ
افوزيجبيار، الأكاكوس، دور الرؤوس المستديرة
عن: فايز، 2002، ص275

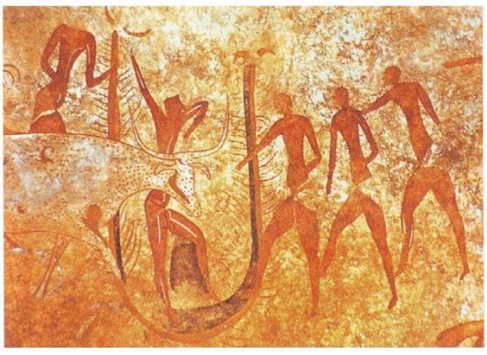

(لوحة:18)

عدد من الرعاة يمرون عبر بوابة في شكل حرف u، مرتفعات التاسيلي ،عصر الرعاة القديم
عن: بوزيد، 2007، ص181

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

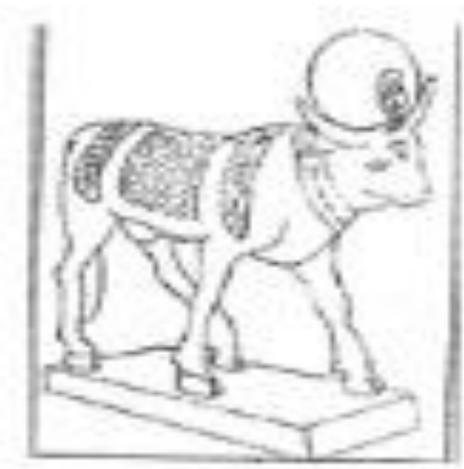

(لوحة:19)

ابيس أله التناسل والخصب
عن: سمير الديب، 2000، ص32

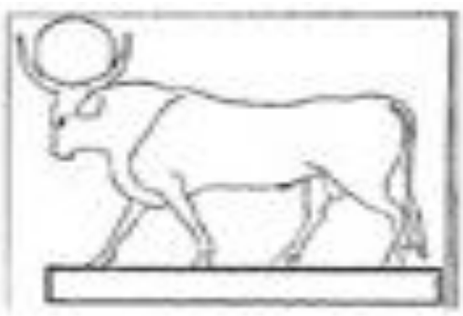

(لوحة:20)

اله ارتبط باله الخصب منفيس بمصر القديمة
عن: سمير الديب، 2000، ص214

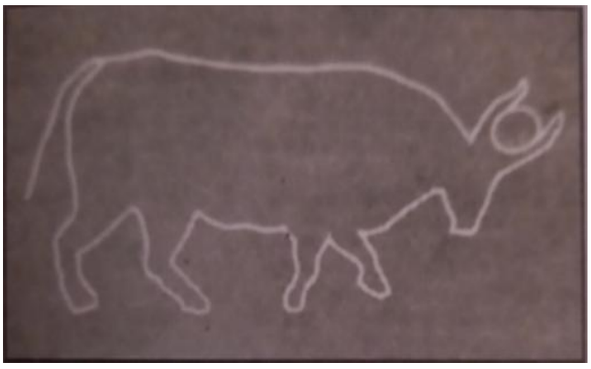

(لوحة:21)

أله الحرب قرزيل، ماية ديب، وادي مرسيط
عن: عبد الحفيظ، 2001، ص70

(لوحة:22)

ثور يتزين بقرص الشمس بين قرنيه،
وادي ايكي، الأكاكوس، فترة الرعوي القديم
عن: موري، 1988، ص179

(لوحة:23)

ثور اسود مثل رمز الخصب والقوة البدينة
تشوينت (5)، الأكاكوس، الدور الرعوي الحديث
عن: موري، 1988، ص212

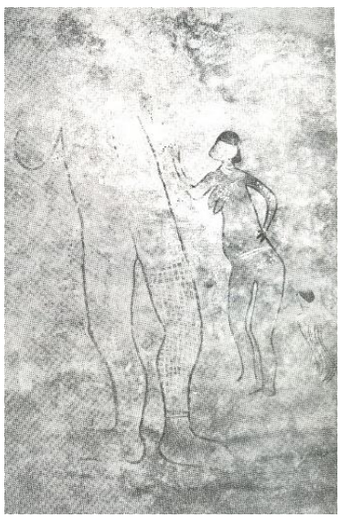

(لوحة:24)

شكل للإله وامرأة في وضع التضرع أمشال (3)
الأكاكوس، نهاية دور الرؤوس المستديرة
عن: موري، 1988، ص173

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

(لوحة:25)

ثور تحاكي قرونه أوجه القمر(الهلال)،
متخندوش، فزان
عن: باول، 2008، ص71

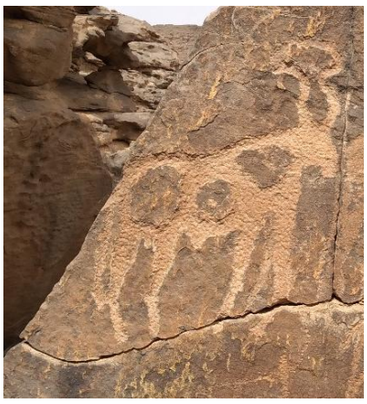

(لوحة:26)

ثور بقرون طويلة متجها إلى الامام ومعكوفة،
وادي الشاطئ، فزان
عن: الباحث محمد الشرقاوي

(لوحة:27)

الاله أوزيريس أله البعث والخلود والخصوبة، بمصر
القديمة
عن: هرو، 1988، ص 277

(لوحة:28)

رجلان يرتديان غطاء الرأس وكأنه لثام الطوارق وهو
يماثل الاله اوزيريس،
عين هابيتر الأكاكوس
عن: احمد: 1994، ص68

(لوحة:29)

الاله حتحور ربة الخصوبة بمصر الفرعونية ويظن بأنها امتداد للسيدة البيضاء
عن: بدج، 1994، ص513

(لوحة:30)

ايزيس إلهة السحر بمصر الفرعونية
عن: هرو، 1988، ص277

(لوحة:31)

طقوس عبادة وتضحية الثيران لرعاة فزان القدماء العفرة، الأكاكوس، دور الرؤوس المستديرة
سعد، 1993، ص317

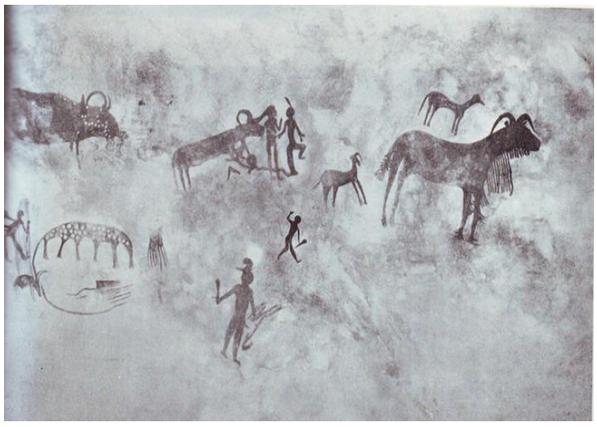

(لوحة:32)

ثلاثة اشكال بشرية ربما في طقس استدعاء للأمطار وادي ايكي، الأكاكوس، نهاية دور الرؤوس المستديرة
عن: موري، 1988، ص171.

(لوحة:32)

اشكال بشرية وحيوانية في طقوس تعبديه ارتبطت بتقديس الثيران بين الليبيين القدماء،
وادي كيسان الأكاكوس، دور الرؤوس المستديرة
عن: موري: 1988، ص168